الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد فإنه لا توجد حقيقة ناصعة كحقيقة الإسلام، ولا توجد شريعة واضحة كشريعته، فالإسلام بعقيدته وشريعته أكبر يقينية في هذا العالم. كما أن الإسلام أسس نظاما في التعامل مع الآخرين – ولو كانوا مخالفين له – يقوم على قاعدة الأخوة الإنسانية، وقاعدة العدل الذي لا يفرق بين جنس وآخر، وقاعدة مراعاة الأخلاق في كل زمان ومكان وصغيرة وكبيرة، ومراعاة التكريم الإلهي للإنسان، ومراعاة التنوع والاختلاف الذي جعله الله تعالى سنة كونية في هذا العالم بين مخلوقاته، زد على ذلك ما أكده الإسلام من حقوق لمن منحهم عهدا أو ذمة.

وإذا كان الإنسان يرفض بفطرته وطبعه الضيم واعتداء الآخرين عليه وانتهاك حرمة دمه وعرضه والسطو على بلده وداره أو انتقاص ماله بغير حق، فإن الإسلام بتشريعاته يرفض هذه الممارسات ويعتبر مجرد التفكير فيها عملا قلبيا آثما، ويطلب من أتباعه أن يستعيذوا بالله تعالى من هذه الهواجس وتلك الوساوس. وجرّم الإسلام هذه الأعمال- السابقة جميعا- ويعتبرها من الكبائر سواء وقعت على مسلم أو غيره، وأقام الإسلام عقوبات متفاوتة، أطلق على بعضها حدودا، والبعض الآخر تعزيرات.

وأقام الإسلام علاقاته مع الآخرين على هذه الأسس الشامخة العادلة الربانية، ويعرف العالم أثر الخير الذي حرص الإسلام وأهله على تقديمه للناس جميعا، ومن ذلك الخير الحضارة التي أقامها على أساس عقدي أخلاقي، والتي أفاد منها العالم أجمع، وبخاصة الغرب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولم يكن ينتظر المسلمون من غيرهم إلا الواجب الذي يراد العاقل واجبا لازما عليه أداؤه سواء تجاه هذا الدين أو تجاه أهله فإن لم يدخلوا فيه فلا أقل من أن ينصفوه، إلا أن الواقع كان غير ذلك فقد قامت حروب متطاولة على الإسلام وأهله قادها رجالات الفكر والدين وسخروا لهذه المهمة رجال السياسة والحرب، واللوم لا محالة لاحق هؤلاء وهؤلاء؛ لكنه ألصق برجالات الفكر؛ لأنهم في الحقيقة صنعوا بكتاباتهم عن الإسلام كراهية كبيرة آثمة له على طول الزمن لدى أكثر طوائف الشعوب الغربية، وإن ساعد في ذلك عدد من العوامل الأخرى.

و قد يظن أن الحركة الاستشراقية توقف نشاطها أو خمد حراكها أو هدأ أوارها أو نضب إفرازها ! كلا. إن الأمر لا يعدو تلون وتنوع وتطور الأنشطة حيث غلب على الاستشراق المعاصر شغله بقضايا العالم الإسلامي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والإصرار عند هدف تغيير هوية الأمة الإسلامية. وإن تغير الأسماء لا يلزم منه تغير الجوهر. إن كثيرا من المستشرقين اليوم يكتبون عما يسمى عندهم بالإسلام السياسي، وسياسات الدول الإسلامية، وعلاقات العرب والمسلمين بالغرب، و مدى تقارب دول النفط وتباعدها من الأنظمة الغربية، والحراك السياسي في هذه الدول، كما يتابعون بدقة الحركات الإسلامية المعاصرة، والعمل الإسلامي...إلخ هذه القضايا الإسلامية المعاصرة. ولا شك أن هذا لم يسكت أو يوقف متابعة الحركة الفكرية في العالم الإسلامي.

وما يزال العالم الغربي المعاصر محاصرا بهذه الأفكار الاستشراقية المتعصب والأصولية، والتي مؤداها -كما يقول أحد ضحايا الغرب أمريكي وهو الباحث والسياسي البارز بول فندلي- ربط الإسلام (بالإرهاب والتعصب، واستعباد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المرأة، وانعدام التسامح تجاه غير المسلمين، والعداء للديموقراطية، وعبادة إله غريب وانتقامي)[1].

(قالت لنا معلمتنا وهي متطوعة عطوفة عملت بإخلاص سنوات طويلة: إن شعبا أميا وبدائيا وميالا إلى العنف يعيش في مناطق صحراوية في الأراضي المقدسة ويعبد "إلها غريبا"... وتواظب على تكرار قول "إنهم ليسوا مثلنا". ثم يقول وبقيت – شأنه في ذلك شأن الملايين المضللين من أبناء الغرب أمريكي– معظم حياتي أحمل صورة عن المحمديين كأناس غرباء جهلة، ويضمرون الأذى للآخرين. كانت معلمتي، مثلها مثل العديد من الأمريكيين اليوم، تكرر ببراءة الأضاليل التي اكتسبتها من أناس آخرين يفتقرون إلى المعرفة الوافية، فقد كانت تردد في صفنا ما كانت تعتقد أنه الحقيقة... [2].

لقد ظلم الإسلام أكثر من مرة ! فهاهو يظلم من أتباعه والمنتسبين إليه في كل لحظة وحين، ويظلم عند غيرهم ظلما فادحا يحمل عبء كثير منه دجاجلة الغرب من المفكرين والمستشرقين والمثقفين. أو كما قالت إحدى المستشرقات – آنا ماري شمل – والتي تقول: والإسلام مثل نمطي لتلك التأويلات الظالمة المشوهة كما نعهد في لوحات فناني القرن التاسع عشر الغربيين الذين شغفوا بتصوير المسلمين برابرة غير متحضرين محاربين شاهري السيوف، أو مترفين غارقين في مجالس اللهو بين الحسان وكما نعهد اليوم إذ تقفز إلى الأذهان – عند ذكر كلمة إسلام – صورة فقيه

---

١ – لا سكوت بعد اليوم. أ / بول فندلي، ص ٣٠ طبعة العبيكان، الطبعة الثانية سنة ٢٠٠١م.

٢ – السابق ص ٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملتح متزمت – متنطع–، أو صورة إرهابي وقح منحط، لا وازع له، والحق أن تلك اللوحات وهذه الصور اليوم تستندان إلى التأويل الخطأ الظالم، والشرح الآثم (١).

ولتجلية حقيقة كتابات المستشرقين وبيان قيمتها وقدرها استعنت الله تعالى في كتابة هذا البحث، وأحسب أني متجرد فيه من كل هوى ومن كل تبعية ولو كانت غير مذمومة – أعني في مقام الحكم على كتاباتهم – ولذلك ذكرت لهم بعض الإيجابيات التي اقتنعت أنهـا كذلك، ولا يضير المسلم ذكر الحق لأهله، بل العدل الرباني الذي أُمرنا به يلزمنا بهذا؛ فالله سبحانه وتعالى يقول ((و لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا))(٢).

وبعد التعريف اللغوي والاصطلاحي للاستشراق، ذكرت بعـض آثـاره، وهمـا بمثابة التمهيد للبحث، ثم تحدثت عن ثلاث من خصائصه هي – من وجهة نظري – أهـم خصائص الدراسات الاستشراقية.

وما قمت به هو في أوله وآخره وجهات نظر حول هذه الحركـة لا يـزعم لهـا الصواب والكمال، ولكن ما أنا على يقين منه هو أني قصدت الحقيقة فإن أدركت فمـن الله تعالى وحده التوفيق والهداية، وإن كان غير ذلك فإن النقص طبيعة بشرية لا تنفك عن غير الأنبياء، وأشكر من ستر وسدد، والسماح لمن انتقص وشهر.

والله تعالى من وراء القصد

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وحرره د/ عبده علي عبده مقلد.

---

١ – انظر مقدمة أنا ماري شمل لكتاب الإسلام كبديل ص ٩، ١٠. ط مكتبة العبيكان.

٢ – المائدة جزء آية رقم ٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعريف الاستشراق

التعريف اللغوي:

معلوم أن مصطلح الاستشراق غير موجود في المعاجم العربية – القديمة – ولكن استنادا إلي قواعد الصرف والاشتقاق يظهر معني الكلمة – فهي تعني طلب الشرق – والمستشرق – طالب ما عند الشرق، أو من أدخل نفسه في الشرق.

واستشرق: طلب علوم الشرق ولغاتهم " مولدة عصرية " يقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة [1].

ويقابل الشرق الغرب، فيكون طالب علوم الشرق من أهل الغرب خاصة الباحثين في شأن الشرق، ويكون الاستشراق مقابل الاستغراب، والمستشرق يقابله المستغرب، ويطلق الأخير على الشرقي الذي يطلب ما عند الغرب.

التعريف الاصطلاحي للاستشراق:

أصبح منذ زمن غير يسير الاستشراق علما له مؤسساته ومعاهده ورجاله وروافده الفكرية. ولكي نقف علي كنه هذا المصطلح ينبغي أن نستعرض تعريفه لدي علمائه من الغرب، ولدي المشتغلين والمهتمين بدراسته من علماء العرب والمسلمين، وذلك حتى لا نأخذ بوجهة نظر واحدة.

فهو وإن كان في النظرة الجامعة " يقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته "[2].

---

١ – معجم متن اللغة ج٣ ص٣١١ .

٢ – الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. إعداد ونشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي. إشراف د/مانع الجهني ج٢ ص٦٩٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و بما أن المصطلحات تتطور في مدلولها من زمان لآخر، ومن مكان لآخر، بل أحيانا من عالم لآخر، فإن البعض يطبق هذا على مصطلح الاستشراق، فيرى أن مدلوله تطور، ويرجح أن مصطلح الاستشراق مر بأكثر من مرحلة.

حيث كان في أولى مراحله يطلق علي من يهتم بدراسة اللغات الشرقية أو يعرف بعضها.

فها هو (" أنتوني وود" يصف " صموئيل كلارك " بأنه استشراقي نابه يعني بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية)[١].

وجاء في قاموس أكسفورد الجديد تحديد المستشرق بأنه " من تبحر في لغات الشرق وآدابه.. " ويقول بارت: الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة..."[٢].

أما مفهومه فيما بعد فإنه قد اتسع ليشمل دراسة الشرق كله بما فيه ماضيه وحاضره، وثقافاته، ولغاته وحضاراته، وأديانه. (فليس صاحب علم الشرق الجدير بهذا اللقب بالذي يقتصر علي معرفة بعض اللغات المجهولة أو يستطيع أن يصف عادات بعض الشعوب بل إنما هو من جمع بين الانقطاع إلي درس بعض أنحاء الشرق وبين الوقوف علي القوى الروحية الأدبية الكبيرة التي أثرت علي تكوين الثقافة الإنسانية، هو من تعاطي درس الحضارات القديمة ومن أمكنه أن يقدر شأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن... وعلم الشرق هذا يتعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها وحضاراتها ثم يستفيد من البحوث الجغرافية والطبيعية)[٣].

---

١ – انظر فلسفة الاستشراق. د أحمد اسمايلو فيتش. ص٢٢. دار المعارف مصر.

٢ – السابق ص٢٣.

٣ – أ. جويدى، علم الشرق وتاريخ العمران ص١١، ١٤، نقلا عن فلسفة الاستشراق ص٢٤ بتصرف يسير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علماء العرب وتحديد مفهوم الاستشراق:

لقد تعددت مذاهب علماء العرب في تحديد هذا المصطلح. فمنهم من يقصر المستشرقين علي " الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية "(١).

وبعض الباحثين بوسع معنى دائرة الاستشراق ليشمل دراسة الشرق بما فيه، فهو في نظره " اشتغال غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق وحضاراته وفلسفاته وأديانه وروحانياته، وأثر ذلك في تطور البناء الحضاري "(٢).

ومنهم من يجعل الاستشراق صنوا للتنصير، وأنه لا يخرج عن كونه مهنة وحرفة – أي لا يصطبغ بالصبغة العلمية – كحرفة الطب والهندسة، تحمل دراستهم طابع التشكيك في الدين الإسلامي.

يقول أ. حسين الهراوى: " وعندي أن الاستشراق مهنة – وحرفة كالطب والهندسة والمحاماة، وهو أقرب الشبه إلي مهنة التبشير، ولا يخفي عليك أن التاريخ الإسلامي ينقسم إلي قسمين: –

القسم الأول منه: هو الإسلام من حيث هو دين وعناصره القرآن، والحديث، وحياة سيدنا محمد ﷺ.

---

١ – هكذا نص أ مالك بن نبي. انظر كتابه " انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ص٥، دار الإرشاد بيروت ١٩٦٩م وبنحوه عرفه د/ زقزوق حيث عرفه بأنه: الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام.

٢ – يقول بذلك أ / أحمد الشرباصى، ويوسف داغر، ومحمد عبد الغنى حسن / انظر فلسفة الاستشراق ص٢٧ – ٣٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القسم الثاني: منه تاريخ الدول العربية التي نشأت وعاشت في الإسلام، وهذا القسم قد خدمه المستشرقون حقا، لأنه نوع من المباحث التاريخية الحرة، أما القسم الأول منه، فهو بيت القصيد، ولا يتصدى له كل المستشرقين والذين يتصدون له تري كلا منهم مملوءا بالتشكيك والاستنتاج الخاطئ والغمز واللمز، إن لم يكيلوا التهم جزافا، ويرموا الدين الإسلامي بما شاءت عقائدهم الخاصة وفائدتهم المادية "(١).

ومن التعريفات الجيدة – من وجهة نظري – ما اقترحه الدكتور/أحمد غراب في كتابه " رؤية إسلامية للاستشراق " فقد عرفه بأنه: دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون- على حد تعبيره – من أهل الكتاب بوجه خاص – للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة، وشريعة، وحضارة، وتاريخا، ونظما، وثروات وإمكانيات...بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي- على حد تعبيره- على الشرق الإسلامي(٢).

وهو وإن كان تعريفا جيدا إلا أني أراه خص الكافرين الغربيين دون سواهم، كما أنه أخرج الدراسات التي يقوم بها المستشرقون عن غير المسلمين من دائرة الدراسات الاستشراقية، كما أن التعريف يغلب عليه أهداف الاستشراق، فهو أقرب إلى التعريف الغائي.

هذا وقد توسع بعض الكتاب العرب والمسلمين في مفهوم الاستشراق فضم إليه عناصر أخرى كثيرة لا أراها تناسب التعريف بأصوله المنطقية. وذلك مثل

---

(١)- نحن والمستشرقون. حسين الهراوي. نقلا عن فلسفة الاستشراق ص٢٨، ٢٩.

(٢) – رؤية إسلامية للاستشراق ص٧ ط المندى الإسلامي. ط الثانية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعريف د/ مازن مطبقاني. فهو يقول في تعريفه للاستشراق:إنه كل ما يصدر عن الغربيين من أوربيين (شرقيين وغربيين بما في ذلك السوفيت) وأمريكيين من دراسات أكاديمية (جامعية) تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، وفي الشريعة، وفي الاجتماع، وفي السياسة أو الفكر أو الفن، كما يلحق بالاستشراق كل ما تبثه وسائل الإعلام الغربية سواء بلغاتهم أو باللغة العربية من إذاعات أو تلفاز أو أفلام سينمائية أو رسوم متحركة أو قنوات فضائية أو ما تنشره صحفهم من كتابات تتناول المسلمين وقضاياهم،كما أن من الاستشراق ما يخفى علينا مما يقرره الباحثون والسياسيون الغربيون في ندواتهم ومؤتمراتهم العلنية أو السرية، ويمكننا أن نلحق بالاستشراق ما يكتبه النصارى العرب من أقباط وماروئيين وغيرهم ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي، ولابد أن نلحق بالاستشراق ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين، وتبنوا كثيرا من أفكار المستشرقين(١).

ولا شك أن مثل هذا التعريف توسع كثيرا حتى أنه تجاوز المصطلح إلى من تأثر بأفكار المستشرقين، والأولى إطلاق مصطلح مستغربين على هؤلاء وأمثالهم، وكذلك أدخل في المستشرقين بعض الشرقيين، وكذلك بعض العرب من غير المسلمين.وبالطبع هناك فرق بين المستشرقين وبين من تأثر بهم، وبينهم وبين من هم على ديانتهم، ولذلك لا أراه تعريفا تنطبق عليه معايير التعريف.

والاستشراق من وجهة نظري كمصطلح مر بأكثر من مرحلة، كما سبقت الإشارة لذلك، ويمكن أن يعرف بأنه: دراسات يقوم بها غربيون- في الأعم الأغلب - عن الشرق عامة، والإسلام خاصة لأغراض متنوعة.

---

١ - انظر الاستشراق د / مازن مطبقاني ص٢ ط دار الفرقان الأردن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من آثار الاستشراق:

لعب الاستشراق دورا خطيرا في مسيرة الفكر والأدب عامة، والفكر والأدب العربيين خاصة قديما وحديثا. و تتنوع هذه الآثار إلى آثار إيجابية، وأخرى سلبية، و لنبدأ بذكر الآثار الإيجابية.

آثار الاستشراق الإيجابية:

إذا كان للاستشراق أثره الكبير في حياتنا من عدة نواح مهمة. فإن من الإنصاف الذي يقتضيه إسلامنا أن أذكر ما يمكن أن يسمي بإيجابيات للاستشراق – وأعني بذلك ما كان من أثر مفيد للاستشراق في حياتنا وإن جاء بعضها عن غير قصد للمستشرقين – وأظهر ذلك في أربعة أمور:

الأول: إحياء بعض المخطوطات العربية والإسلامية وذلك بتحقيقها وطبعها ونشرها[1]، ولاشك أن ذلك له أثره الكبير في تنشيط حركة إحياء التراث الإسلامي، والذي ما زال يحتاج إلى كثير من الجهود.

وإن كان لنا من تحفظ على إحياء المستشرقين لبعض التراث، كنشر نوع معين من التراث الذي يخدم أغراضهم [2]، وتفسير النصوص حسب ما يحقق نصرا

---

(١)- نتاج المستشرقين في هذا الميدان في الحقيقة ما بين ٧% إلى ١٠ % من مجموع ما يطبع. وانظر تفصيل ذلك في ما كتبه د / عبد العظيم الديب في بحثه المسمى " المستشرقون والتراث " بحث منشور في حولية كلية الشريعة بدولة قطر ص ٧١١ المجلد رقم ٤ لسنة ١٩٨٥م. وقد طبع أكثر من مرة.

(٢) – وأفيد هنا إلى أن المستشرقين غالبا ما يعتنون بنشر المخطوطات التي تخدم أهدافهم، وأهداف من يخدمونهم من الساسة و جيوش الاحتلال الغرب أمريكي، فهم مثلا يركزون على إحياء تراث المتصوفة المغالين والذي لفظته الأمة، مثل إحياء ما كتبه ابن عربي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

=والحلاج وأمثالهما، وهدفهم من إحياء هذا النوع من التراث واضح في التمكين للمحتل من اغتصاب الأرض دون أي مقاومة من الشعوب المسلمة، وليس أدل على هذا من فعل المحتل الفرنسي في الجزائر. وفي هذا يقول الدكتور/ محمود قاسم:... إن الاستعمار الفرنسي للجزائر استطاع بجبروته وعسفه أن يفرض لغته على كثير من المثقفين في الجزائر وشمال أفريقية، غير أنه لم يستطع أن ينال كثيرا من العقيدة الإسلامية، رغم ما بذله المختصون في شؤون الثقافة من محاولات لفصم العقلية الجزائرية، عن طريق تمجيد التصوف الكاذب، وإشاعة الخرافات والأباطيل، على نحو ما نراه من مؤلفات "لويس ماسنيون" الذي خصص حياته للكتابة في الحلاج، فجعله صورة من المسيح في الإسلام، وأعتقد أن " ما سنيون " ما كان يعنى بالحلاج قدر عنايته بتنفيذ مخطط استعماري أحكم صنعه، فقد ملأ كتابه الضخم عن الحلاج بحشد هائل من الخرافات والترهات والأباطيل، حتى يعمق الهوة بين طائفتين توجدان بالجزائر: طائفة تتمسك بالقديم، فتنساق، حسب ظنه، إلى اعتقاد أن هذه الخرافات والهذيانات هي من صميم الإسلام، وطائفة مثقفة بالثقافة الحديثة تتجه من جانبها إلى السخرية والذراية بهذا الإسلام الخرافي، بل من الإسلام كله. انظر " الإمام محمد بن باديس " الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية. ص ٧، نقلا عن "المستشرقون والتراث".

وتزيد الموسوعة الميسرة من أسباب اهتمام المستشرقين بهذا النوع من التصوف لأسباب منها: - إبراز الجانب السلبي الاستسلامي الموجود في التصوف وتصويره على اعتبار أنه الإسلام.

- موافقة التصوف للرهبانية المسيحية ، واعتباره امتداداً لهذا التوجه.
- ميل منحرفي المتصوفة إلى قبول الأديان جميعاً، واعتبارها وسيلة للتربية الروحية، وقد وُجِد في الغرب من يعتبر نفسه متصوفاً، ويستعمل المصطلحات وبعض السلوكيات الإسلامية دون أن يكون مسلماً، وذلك من بين أتباع اليهودية والمسيحية والبوذية وغيرها من الأديان.
- تجسيم الصراع بين فقهاء الإسلام ومنحرفي المتصوفة على أنها هي السمة الغالبة في العقيدة والفقه الإسلاميين. ينظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ج١ ٢٥٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأهدافهم، وضعف المستوى في بعض أعمالهم إلى حد مخجل، إلا أنه يعد أثرا إيجابيا.

الثاني: إعداد بعض المعاجم العلمية المفهرسة، والتي تعد خدمة كبيرة للعلم في هذا المجال، والتي أفادت الباحثين كثيرا، ويسرت أمورا كثيرة في البحث العلمي، ومن أمثلة ذلك: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. والذي أعده المستشرق فلوجل، وأذكر هنا جهد العلامة الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقي. رحمه الله تعالى. في تصحيح هذا العمل وتنسيقه وإخراجه في صورة طيبة نافعة.ومن أمثلة ذلك أيضا(المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف) والذي أعده مجموعة من المستشرقين تحت إشراف المستشرق فنسنك[1]، والذي نشره في ليدن سنة ١٩٣٦ م. والذي يعد عملا علميا كبيرا وجيدا بشتى المقاييس، ومما لاشك فيه أنه أفاد الباحثين المسلمين عموما، وفي مجال خدمة السنة النبوية المشرفة خصوصا. ومع ما يقال من أهداف استشراقية حول هذا العمل فإن المسلم يتذكر ما أخبر به النبي ﷺ – فيما

=(و أنبه هنا إلى أنه من الخطأ تعميم الحكم على كل التصوف، وكل المتصوفة، فهناك حركات جهاد ومقاومة قادها أئمة صوفيون، دون غلو أو انحراف).

والمستشرقون كذلك يعنون بنشر الجدليات الكلامية، والقصص الأدبي غير الأصيل إسلاميا، مثل " ألف ليلة وليلة " وما كتبه البعض في ظروف معينة، ويقصد من نشره تصوير الحياة الإسلامية على أنها حياة مجون ولهو... مثل كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني، وكذلك حكايات الغلمان!! وهكذا معظم أبحاثهم.

١ – هو مستشرق معروف بعدائه الشديد للإسلام والمسلمين . وهو مستشرق هولندي الجنسية توفي سنة ١٩٣٩م. هذا والمعجم من ظروف وضعه وتمويله واستخدامه كان لغرض تسهيل الوصول للأحاديث ليسهل على المستشرقين تصيد الشبه والطعن على الإسلام، والمعروف أن هولندا مولت المشروع تمويلا كبيرا وإن اشترك معها فرنسا وبريطانيا وأمريكا، ولا يشك مسلم أن هذه الدول مولت هذا العمل لأجل مصالحها فقط.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخرجه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة " إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر "[1].

الثالث: هذا ويمكن أن يضاف إلى ذلك استجابة بعض المستشرقين للحق الواضح وإعلان إسلامهم، وفضحهم للاستشراق في وسائله وخططه وأهدافه، والرد على بعض المستشرقين المتعصبين، وفوق ذلك إفادتهم للمكتبة الإسلامية بكتابات نافعة جيدة ككتابات الأستاذ / محمد أسد، والأستاذة / زغريد هونكة، والطبيب الفرنسي/ موريس بوكاي، وغيرهم.

يقول الأستاذ دكتور / مراد هوفمان: ولابد من الإشارة إلى أن مثل أولئك المستشرقين الأوربيين المدافعين عن الشرق وحضارته أسهموا بنصيب وافر في تصويب أبعاد وملامح الصورة الخاطئة المشوهة للإسلام، ومن هؤلاء مؤلف هذا الكتاب نفسه، وبقية المسلمين الأوربيين مثل ليوبلد فايس، وتيتوس بوركهاردت، وأحمد فون دنفر، ومارتين لينجز، وروجر دوباسكير ومحمد بكتهول، بل وغير المسلمين المتعاطفين مع الإسلام مثل مارسيل بواسارد، وهنري كوربين، وجيللييس كيبيل، وأنا ماري شمل، ودانيل جمارت...[2].

الرابع: أخذ العلوم والآداب والفنون والحضارة عن العرب ونقلها إلي الغرب الذي بدوره أتقنها وفك رموزها وبني عليها نهضته الكبيرة، فبفضل هذه المنقولات الإسلامية والعربية حقق التقدم والرقي.

---

١ - مسلم واللفظ له عن أبي هريرة كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه برقم ١٦٢. والبخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر برقم ٣٨٨٢.

٢ - الإسلام كبديل د / مراد هوفمان ص ٢١٣، ٢١٤ طبعة مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية سنة ٢٠٠١م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا: الآثار السلبية:-

لقد تعددت وتنوعت آثار الاستشراق السلبية – الضارة – على العالم العربي والإسلامي. وأيضا لم يسلم من شروره أبناء العالم العربي.

١ – أخذ الاستشراق النظريات والأفكار والآراء الغربية وألقاها إلي العرب مؤثرا بذلك في أدبهم وفكرهم وكثير من أمور حياتهم [١].

٢ – الحروب الصليبية قديمها وحديثها حيث كان الاستشراق عاملا مهما فيها. ولا زالت هذه الأفكار الاستشراقية الزائفة عن الإسلام تفجر الروح الصليبية الحربية عديمة التسامح، والتي ولدت منها الروح الصليبية [٢].

٣ – في العالم الغربي لم يعد في وسع أحد أن يكتب عن الشرق أو يفكر فيه أو يمارس فعلا مرتبطا به دون أن يتخلص من القيود التي فرضها علي حرية الفكر والفعل. حيث إن كتابات المستشرقين أرست ما يشبه القواعد الفكرية العامة في كيان العقل الغربي عن العرب والمسلمين، أضحت تمثل هذه القواعد أسسا تنطلق منها كتابات الغربيين وأفكارهم عنالعالم الإسلامي.

٤– أنه يمثل الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي. فقد كان للاستشراق من غير شك أكبر الأثر في صياغة الأفكار والتصورات الأوربية عن الإسلام وكتابه ونبيه صلي الله عليه وسلم، وتاريخه وحضارته. " ولا يزال الأوربيون إلي اليوم يستقون معلوماتهم عن الإسلام من

---

١ -انظر فلسفة الاستشراق د/ أحمد اسمايلوفيتش ص٧.

٢ – ينظر الإسلام عام ٢٠٠٠ د/ مراد هوفمان ص ٤٩. ط العبيكان الأولى سنة ١٤٢٤هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كتابات المختصين في هذا المجال "[1]. وبهذه الأفكار أصبحت إدانة الإسلام جزءا لا يتجزأ من العقلية الأوروبية [2].

٥- ومن آثار الاستشراق ذات الخطورة بمكان على الغرب والنصرانية: ظهور ما يسمى حركة الإصلاح الكنسي (البروتستانتية). فلقد تأثر رجالها بأفكار إسلامية كثيرة، كانت عاملا مهما مع خوفهم على الديانة النصرانية من زحف الإسلام جعلهم يقومون بهذه الحركة.

٦- كما أنه عامل كبير - أعني الاستشراق - من عوامل" فساد حياتنا الأدبية إلي هذا اليوم "[3].

وذلك لا يخفى من محاولات المستشرقين وأذنابهم الهجوم على اللغة العربية، مستخدمين في ذلك كل سبيل ووسيلة، ومدعين أنها تمثل عائقا للتقدم، وداعين إلى رسمية اللهجات العامية، وإلى كتابة اللهجات بالأحرف اللاتينية. إلى غير ذلك من الدعاوى الساقطة.

٧- بعث وإحياء الفكر الغريب على جمهور الأمة، والتي تجاوزته الأمة بفضل الله تعالى أولا، ثم بفضل علمائها المخلصين، لكن المستشرقين يصرون على بعثه ونشره من جديد بغرض إثارة الشبه حول عقيدة الإسلام الصافية مثل اهتمامهم بفكر ابن عربي وتحقيقه ونشره، وكذلك فكر بعض الفرق الخارجة حتى أنه لا يكاد يعرف المثقف الغربي من الإسلام إلا هذا الفكر ظانا أنه الإسلام.

---

١ - انظر الإسلام في الفكر الغربي د/ مصطفي السباعي ص٩ ط دار القلم الكويت ١٩٨١.

٢ - ينظر الإسلام عام ٢٠٠٠ ص ٤٩.

٣ - انظر رسالة في الطريقة إلي ثقافتنا محمود محمد شاكر. ص٥٦ طبعة الهلال - مصر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٨- بعث الخلافات المذهبية القديمة والعمل على توسيع هوة الخلاف بين أتباع المذاهب الإسلامية، ليصب ذلك في هدف أكبر عندهم ألا وهو:تمزيق الوحدة الإسلامية وتكوين الكيانات العرقية والمذهبية.

وهناك آثار أخرى غير هذه متنوعة ومتعددة ن ولكني أكتفي بذلك مراعاة للمقام، وفيما ذكر إشارة إلى الباقي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخصيصة الأولى

أنها دراسات ذات علاقة وثيقة جدا بالتنصير

لقد انطلقت هذه الدراسات بدافع ديني تنصيري،ولتحقيق هدف ديني لم يغب عنه التنصير. وهذا المعنى واضح في طبيعة العلاقة بين الغرب والإسلام. حيث قصد رجال الفكر الغربي رسم خريطة متشابكة من العداء تمثل أيديولوجية ثابتة، هادفة تحقيق مصالحهم على حساب الشرق الإسلامي، ومنطلقة من ركيزة الاستعلاء ـ استعلاء الغرب ـ، والذي يقابله احتقار الآخر.

كما يدل علي هذا أيضا أن البدايات الأولى للاستشراق قامت على يد رجال الكنيسة. ونشط الاستشراق بجهدهم ولتحقيق هذا الهدف. فطلائع المستشرقين كانوا من ذوي المناصب الدينية الكنسية. كما سيتضح في النماذج التي جمعت بين الاستشراق والتنصير.

ويتأكد هذا المعنى من خلال التعرف على دراسات المستشرقين، حيث إن كثيرا منهم بدأ حياته العلمية بدراسة اللاهوت قبل التفرغ لميدان الدراسات الاستشراقية، وكان همهم إرساء نهضة الكنيسة وتعاليمها، لا سيما في العصور الوسطى[1].

ومن الأدلة أيضا أن هناك طوائف كثيرة من المستشرقين تجمع بين الاستشراق والتنصير. و هؤلاء كثر. منهم علي سبيل المثل لا الحصر:

---

(١) ينظر " الاستشراق و المستشرقون: وجهة نظر " أ / عدنان محمد وزان ص١٧ سلسلة دعوة الحق رقم ٢٤ ط رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- جريردي أو رالياك الفرنسي الأصل الذي يعد أول مستشرق. وقد تولي كرسي البابوية بعد أن ذهب إلى الأندلس، وتتلمذ على أيدي علمائها في أشبيلية وقرطبة حتى عد من أكبر علماء عصره في أوروبا لمعرفته بالعربية والرياضيات والفلك، وبرع بذكائه الحاد في عدد من المعارف. وهو المعروف باسم سلفستر الثاني حيث تولي البابوية بهذا الاسم سنة ٩٩٩م. في الحادية والستين من عمره حيث ولد سنة ٩٣٨م. وتوفي سنة ١٠٠٣م عن عمر ناهز الخمس والستين.

٢- بطرس الملقب ببطرس الموقر – المولود سنة ١٠٩٤ م – والمتوفى سنة ١١٥٦م. وهو من أشهر رجال الكنيسة في عصره. ومن العناصر ذات الأثر البالغ في تاريخ الاستشراق والتنصير.

وهو راهب ولاهوتي مسيحي فرنسي، ترقي في سلك الرهبنة حتى أصبح رئيسا لدير "كلوني" في فرنسا[1]، وهو الدير المشهور في تاريخ أوربا بالتعصب للصليبية.

نشأت في طليطلة بعد سقوطها في أيدي النصارى سنة ١٠٨٥ م حركة صليبية قوية لحرب الإسلام والمسلمين في الأندلس. وكان مركز هذه الحركة دير كلوني الذي ترأسه فيما بعد بطرس هذا، وهذا الدير – وغيره من المجامع – هو الذي أقر وجوب حرب المسلمين في الأندلس وفلسطين. وسوغوا ذلك بأن انتشار الإسلام ما هو إلا غضب الهي يجب التكفير عنه بحرب المسلمين. فكان رجال هذا الدير يتقدمون الجيش الصليبي لإبادة كل ما هو إسلامي في الأندلس وإحلاله بالنصرانية. !!

---

١ – له أفرع في عدد من البلدان الأوربية. من اشهرها فرع طليطلة في أسبانيا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من أهم – أسوأ – أعماله الاستشراقية التنصيرية: –

أ:حرصه علي إيجاد ترجمة للقرآن الكريم إلي اللغة اللاتينية. وبمعاونة الأب إيزابيل صدرت هذه الترجمة سنة ١١٤٣ م في مدينة طليطلة وكان من أشهر المشتركين فيها القسيس الإنجليزي روبرت أوف كيتون. ومعلوم أن هذه الترجمة تعد خدمة جليلة للمنصرين حيث هي في غاية الرداءة والتشويه للإسلام.

ب: ألف – علي أساس الترجمة السابق – خلاصة عن تعاليم الإسلام. وسماها " هرطقات الإسلام " مع تفنيد لها. وتكونت من الترجمة والخلاصة والتفنيد ما عرف باسم " مجموعة طليطلة " أو "مجموعة دير كلوني" لتصبح مادة ومرجعا للدراسات الاستشراقية حول الإسلام لمدة طويلة[١].

ومما لا شك فيه أن الهدف التنصيري كان وراء هذا الأعمال التي قام بها بطرس هذا، فقد قال في تسويغ عمله: إذا كان هذا العمل يبدو من النوافل الزائدة لأن العدو ليس عرضة للهجوم بمثل هذا السلاح، فإني أرد بأن في بلاد ملك عظيم تكون بعض الأشياء للدفاع وبعضها للزينة وبعضها لكليهما معاً. إن سليمان المسالم صنع الأسلحة للدفاع ولو أنها لم تكن ضرورية في زمانه، وداود صنع الزينات للهيكل، ولو أنه لم تكن هناك وسائل لاستعمالها في عصره... وكذلك الحال مع هذا العمل فإذا لم يكن بالإمكان تنصير المسلمين به، فمن حق العالم على الأقل أن يساند إخوانه الضعفاء في الكنيسة الذين يسهل افتضاحهم بأشياء صغيرة [٢]!!.

---

(١)- انظر رؤية إسلامية للاستشراق. د / أحمد عبد الحميد غراب. ص٥٤، ٥٥.

(٢) ينظر الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري د/ محمود حمدي زقزوق ص ١٣ ط مجلة الأمة القطرية كتاب رقم (٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنهم أيضا ٣- " ريموند لول " وهو أشهر المنصرين وأكثرهم خدمة للأغراض التنصيرية، وقد ولد سنة ١٢٣٥م وتوفي سنة ١٣١٦ م، تعلم العربية حتى أتقنها في تسع سنوات، ولغات أخرى غير اللاتينية، وسافر إلى كثير من البلدان خدمة للتنصير، وناقش كثيرا من علماء الإسلام في قضايا عقدية، وهو- كما سبق - الذي تقدم إلى المجلس الكنسي باقتراح إنشاء كراسي لدراسة اللغة العربية في العواصم الأوروبية خدمة للهدف التنصيري، كما كتب ريموند لول كتبا في تعليم المنصرين طرق جدال المسلمين، والرد على المسلمين، و الطعن في الإسلام، حتى قيل إن كتاباته تجاوزت المئات إلى الآلاف !، كما كان من أعماله الإشراف على تعليم تلامذته في كلية "ميرامار" التي أنشأها لتعليم الرهبان اللغة العربية حتى يسهل عليهم تنصير المسلمين، بل بلغ حرصه على تنصير المسلمين درجة أنه باع كثيراً من ممتلكاته لتمويل حركة التنصير، ولما رأى أن كل جهوده هذه لم تثمر شيئاً يذكر نشط أكثر، فقرر القدوم بنفسه إلى بلاد المسلمين، فطاف ببلاد المغرب العربي واعظا بالنصرانية، طاعنا في الإسلام، هاجيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يظهر فقره ومسكنته حتى قيل عنه " الواعظ الصوفي النصراني " وقد قام بثلاث زيارات لهذه البلاد، الأولى كانت إلى مدينة تونس سنة ١٢٩٢م دامت بضعة أشهر وانتهت بطرده بعد انكشاف أمره وقد نجا بأعجوبة من القتل، وكانت زيارته الثانية إلى الجزائر وبالضبط إلى مدينة بجاية [1] سنة ١٣٠٧م وانتهت الزيارة أيضاً بسجنه وطرده بعد ثوران العامة عليه، ولكنه عاود الكرة مرة أخرى سنة ١٣١٥م، وكانت الزيارة أيضاً إلى بجاية، وبلغ من تعصبه وحمقه درجة الطعن في الإسلام وفي نبي الإسلام من فوق منبر مسجد بجاية، فثارت ثائرة الناس وقتلوه رجماً بالحجارة، وقد

---

(١) بجاية مدينة جزائرية قع على ساحل البحر الأبيض المتوسط بها ميناء يسمى باسمها، وهي تابعة لولاية قسنطينة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فعل ذلك عمداً لكي يقتل فيكون شهيداً !! و بهذا تكون قد تحققت أمنيته في الموت، ولكنها لم تتحقق في تنصير مسلمي بجاية !. كما أنه كان قد طلب من كنيسة روما: إنشاء مدارس تنصيرية، وإرسال منصرين مدربين إلى المسلمين، كما أضاف طلبا آخر هو: إرسال حملة صليبية عسكرية إلى غرناطة وشمال أفريقيا و فلسطين للقضاء على المسلمين، كما استطاع أن يقنع ملوك ميورقة بإنشاء كلية للثالوث المقدس تكون مهمتها إعداد المنصرين، واستطاع كذلك بأسلوبه الماكر أن يحصل على إذن خاص من الملك يعقوب صاحب أرغونة للتنصير في مساجد برشلونة ، متحديا مشاعر المسلمين و محتميا بالسلطة الأسبانية، ولهذه الجهود التنصيرية وصفه المستشرقون والمنصرون على السواء بالسبق والسعي نحو الأهداف الكبرى لهؤلاء و أولئك، فهاهو المستشرق أرنست رينان يقول عن أحلامه – التي يشترك معه فيها: هدم الإسلام كان هدف جميع حياته [1].

ونلمس هذا التوافق في الأهداف في كتابات صمويل زويمر أخبث القوم، حيث كتب كتابا عن ريموند لول بعنوان " أول منصر بين المسلمين " وقال عنه: و إلى يومنا هذا كل مستشرقي أوروبا و كتاباتهم مدينة لريموند لول لأن الفضل للمتقدم[2] !.

---

(١) ينظر "الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية" د/ قاسم السامرائي ص١٥،١٦ ط دار الرفاعي الرياض ط الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م، وانظر رؤية إسلامية للاستشراق ص ٥٧ وما بعدها، وينظر التبشير والاستعمار في البلاد العربية د / عمر فروخ، و د / مصطفى الخالدي ص ١١٥ نقلا عن مصادر أجنبية، وانظر " احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام " د / سعد الدين السيد صالح ص ٤٨، ط مكتبة الصحابة، الشارقة ط السابعة سنة ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م.

(٢) انظر الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ص ٩٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنهم ٤ - كنيث كراج وهو مستشرق متنصر، إنجليزي ثم أمريكي [1] نشيط التعصب ضد الإسلام، تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي التنصيرية خلفا لزويمر، وعمل في عدد من الجامعات، منها الجامعة الأمريكية ببيروت والقاهرة، وتولى قسم اللاهوت المسيحي في هارتفورد، ومعهد "مبشرين" ومن آثاره: "هذه السنة" "دعوة المئذنة"، وقراءات في القرآن.

ومنهم ٥- صموئيل زويمر أمريكي الجنسية، كان رئيسا للمتنصرين في المنطقة العربية من الشرق، له جهود كبيرة وخطيرة في التنصير في المنطقة وأفريقيا، ولنشاطه التنصيري أنشأ معهد تنصيري باسمه في الولايات المتحدة الأمريكية، ولشهرته التي ذاعت سادت طريقته التنصيرية ومنهجه الاستشراقي على من بعده فسلكها كثير منهم، أنشأ مجلة العالم الإسلامي الاستشراقية ذات الطابع التنصيري وظل رئيسا له حتى وفاته سنة ١٩٥٢م، وآثاره العلمية موسومة بسوءتي التعصب والتضليل الشديدين، حتى قال عنها العقيقي: أفقدها بتعصبه واعتسافه وتضليله قيمتها العلمية [2].

---

(١) ذكر ذلك د / البهي، وذكر د / النملة أنه إنجليزي !. ينظر كتاب الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٤٥٠ ط وهبة بالقاهرة ط ١٢ سنة ١٩٩١م. وينظر كتاب المستشرقون والتنصير د / النملة ص ١٣٢ طبعة مكتبة التوبة الرياض الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

(٢) ينظر المستشرقون والتنصير ص ١١٠، ويذكر عن زويمر أنه أوصى عند موته أن يلقنه أحد الحاخامات اليهودية ما يلقنه اليهودي عند وفاته، وبالفعل تم هذا ودفن على طريقة اليهود. يقول عبد الله التل: "وأعجب العجب أن يعلم القارئ بأن صموئيل زويمر هذا، الذي كان يرأس مؤتمرات التبشير من أندنبرة في أقصى الغرب إلى لكنو في أقصى الشرق، والذي قاد معارك التبشير طوال ستين عاما انتهت بهلاكه سنة ١٩٥٢م، قد كشف عن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنهم ٦- تشارلز آدمز (١٨٨٣- ١٩٤٨م) أمريكي تعلم على ماكدونالد، ثم عين مديرا للمدرسة اللاهوتية في العباسية بمصر. من آثاره الإسلام والتجديد في مصر، وهو ترجمة إنجليزية لكتاب على عبد الرازق " الإسلام أصول الحكم "، توفي ودفن بمصر[١].

وتطول القائمة. ومن يريد المزيد فليراجع كتاب "المستشرقون " للعقيقي، و " موسوعة المستشرقين " للدكتور / عبد الرحمن بدوي. رحمه الله. وكتاب " المستشرقون والتنصير " د / علي النملة.

=يهوديته الدفينة الراسخة في أعماق نفسه، وذلك بأن طلب حاخامًا يلقنه في ساعاته الأخيرة أثناء احتضاره. وقد أخبرني راهب من أصدقائي أيام معركة القدس، أن الكنيسة تحتفظ بهذا السر المذهل، ولا تبوح به، حتى لا تنكشف حيل اليهود الذين يتظاهرون باعتناق النصرانية، وحتى لايظهر إخفاق جمعيات التبشير التي تبذل الملايين عبثًا، وتتخدع بمكر اليهود وخططهم الخبيثة لبث الفتن والبغضاء بين الإسلام والمسيحية".

ينظر: جذور البلاء. ص ٢٢٨. المكتب الإسلامي ، بيروت ط ٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(١) ينظر المستشرقون والتنصير ص ٤٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومما يدل أيضا على مدي ارتباط الاستشراق بالتنصير:

أن بداية الاستشراق الرسمي في أوربا قام على يد المنصرين ورجال الدين الكنسي.

فبناء علي اقتراح قدمه المنصر " ريموند لول " إلي المجلس الكنسي المنعقد في فينيا سنة ١٣١٢ م صدر عن هذا المجلس أهم قرار تنصيري ألا وهو "إنشاء عدد من الكراسي لدراسة اللغات الشرقية وخاصة اللغة العربية في عدد من جامعات أوربا – باريس، وأكسفورد، وبولونيا [١]، وسلمنكا [٢]. وذلك بهدف نشر المسيحية بين المسلمين[٣].

ومن الأدلة على العلاقة الوثيقة للاستشراق بالتنصير:

أن كثيرا من الكتب التى كتبها المستشرقون خاصة ما كتبوه عن الإسلام إنما هي كتب تنصيرية. أو علي الأقل كتبت لأغراض دينية أهمها التنصير. وأقلها تعظيم القيم النصرانية الغربية وتوهين وتقبيح القيم الإسلامية مرورا بغرض تشويه الإسلام ونبيه-صلى الله عليه وسلم- وكتابه. !!

فالحقيقة أن الاستشراق مصنع ومنتج والتنصير موزع وناشر ومستهلك !!.

---

(١) مدينة إيطالية تمثل مركزا تجاريا وثقافيا مهما. وتأسس بها أول جامعة في أوروبا جامعة بولونيا. ينظر الموسوعة العربيةالميسرة مجموعة من الباحثين بإشراف د/ محمد شفيق غربال ٤٤٢/١ ط دار الجيل بيروت. سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٥م.

(٢) مدينة أسبانية تقع في الغرب، اشتهرت بعد تأسيس جامعتها التي جعلت العلوم العربية في متناول يد العالم العربي.

(٣) ينظر رؤية إسلامية للاستشراق ص٥٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما يقرر " يوهان فوك " أن هدف الدارسين كان تنصيريا لتزويد المنصرين بالمعارف والمعلومات. يقول: فكأن الاستشراق إنما قام ليغذي التنصير بالمعلومة المنقولة بلغة المنصر، رغم تعميم اللاتينية لغة للتنصير [1].

ومن بين آلاف الدراسات ومئات المؤلفات والتي قام بنسجها الاستشراق لهذا الغرض أذكر عددا من هذه الكتب للدلالة علي ما ذكرت. وإنما خصصت هذه الكتب بالذكر لأنها تعتبر الأساس للتنصير وفلسفته وأيديولوجيته.

كتاب " ميزان الحق " ألفه الدكتور / فاندر المستشرق الأمريكي. والدكتور / سنكلير تسدل.

ولا شك أنه من أخطر الكتب التي ألفت في هذا الميدان إذ هو نسيج من الأباطيل والخيال والأكاذيب [2]!!

كتاب " مقالة في الإسلام " للمستشرق جرجس سال. وقد قام بدراسة لا منطقية ولا منهجية ولا عقلية بل هوائية محضة للقرآن الكريم والإسلام.!

---

(١) تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين. تعريب عمر لطفي. ط / دار ابن قتيبة. نقلا عن المستشرقون والتنصير د/ علي إبراهيم النملة ص ٢.

(٢) أفيد هنا بأن علماء الإسلام ردوا وناظروا هذا الرجل. منهم العلامة رحمة الله الهندي الذي ناظره المناظرة الكبرى، وكتب كتابه القيم " إظهار الحق " في الرد على كتاب فاندر، وكذلك من العلماء الذين ردوا على الكتاب فضيلة الشيخ / عبد الرحمن الجزيري. في كتابه القيم " أدلة اليقين ".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كتاب " مصادر الإسلام " لسنكلير تسدل. وقد بذل فيه محاولات - باءت كلها بالفشل - لإثبات دعواه كذب نبوة محمد صلي الله عليه وسلم ونفي حقيقة نزول القرآن عليه. صلي الله عليه وسلم.

٤- كتاب " الهداية " وهو كسابقه. وهذه " الكتب الأربعة تعتبر من أخطر المراجع للهجوم علي الإسلام والقرآن الكريم والرسول الأمين صلى الله عليه وسلم"[١].

٥- كتاب "جولد زيهر" " العقيدة والشريعة " [٢].

كتاب "تنوير الأفهام في مصادر الإسلام"[٣].

ومن المهم هنا لفت النظر إلى أنّ المنصرين يرجعون إلى قوائم معدة لهم تضم بعض الكتب ذات الأهمية في هذا المضمار. من أمثلة ذلك ما جاء في أعمال المؤتمر التنصيري سنة ١٩٧٨م والذي عقد في مدينة جلين آيري بولاية كولورادو الأمريكية، ونشرته دار مارك للنشر، فقد قدم فيه بحث بعنوان " مراجع مختارة للمنصرين العاملين بين المسلمين " وقدمه "وارين. و. ويبستر" ذكر فيه مجموعة من

---

(١) انظر المستشرقون والمبشرون في العالم العربي الإسلامي. إبراهيم خليل أحمد ص ٥، نشر مكتبة الوعي العربي، القاهرة.

(٢) وقد كتب ردا عليه العلامة الشيخ / محمد الغزالي، في كتابه " دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ".

(٣) نشرت مجلة المنار عددا من المقالات في الرد على هذا الكتاب. و قد نشرته الجمعية الإجليزية المكلفة بالدعوة للنصرانية. يراجع المنار مجلد ٧ جزء ٣ ص ١٠١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كتابات المستشرقين أمثال مونتجمري وات، وكنيث كراج، وآرثر جيفري، وبروكلمان،وهاملتون جيب،وفيليب حتى... وغيرهم [1].

ومن أخطر الدلالات وأهمها على أن الاستشراق والتنصير عدو واحد له هدف واحد:

اتفاقهما على توجيه هجمات على الإسلام والمسلمين في كل مكان، و اشتراكهما في صياغة أيديولوجية غربية عن الشرق والمسلمين بخاصة. ودعم ما قام من حروب عسكرية وفكرية. وقد جمع كثير من المستشرقين بين الاستشراق والتنصير.

" ومن هنا بات الاستشراق والتنصير صنوين لا ينفصلان من قوى الغرب العدائية التي استهدفت العالم الإسلامي، فتخصص الأول في أديان الشرق ولغاته، وتعمق في آدابه وعادات أبنائه مقارنا بينها وبين الإسلام. راميا إلي هدمها جميعا وهدم الإسلام علي الأخص. وتخصص الثاني في إنتاج الأفكار وتكييفها حسب متطلبات العصر ومخططات الغرب السياسية للوصول إلي الأغراض التي تهدف في جملتها إلي القضاء علي العرب وعقيدتهم ومقومات حضارتهم، ومن هذا تواجه الباحث صعوبات قصوى في الفصل بين أساطين هؤلاء وأولئك لأن كثيرا منهم جمعوا بين الاستشراق والتنصير من أمثال ريموند لال، وتوما الاكوين، روجر بيكون. قديما. ثم أرنيست رينان، وجبرائيل هانوتو، في نهاية القرن التاسع عشر،

---

(١) ينظر ص ٥١٨ – ٥٣٣. من أعمال المؤتمر ط الأولى سنة ١٤١٥ هـ ١٩٩٤م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وما سينيون، وزويمر، ولا منس، ومرجليوث من بداية القرن العشرين إلي منتصفه. وهكذا...[1].

وقد ظل هذا الثنائي – الاستشراق والتنصير– في عدائه للإسلام والمسلمين إلي يومنا هذا يسعيان نحو تحقيق أهداف واحدة فهما عدو واحد ن وإن تباينا في الوسائل والأساليب، فالاستشراق يرتدي ثوب البحث العلمي ن والعمل الأكاديمي، وغير ذلك، وأما التنصير فقد استغل المرض والفقر والأعمال الاجتماعية والإنسانية والإغاثية، و استخدم المدارس والجامعات والمستشفيات والملاجئ... إلي آخر هذه الوسائل ويتقدمها الإعلام بوسائله. إن جمعا كبيرا من هؤلاء المستشرقين – خاصة مستشرقي بريطانيا وأمريكا الشمالية " قد عرض لدراسة الإسلام خلال دراسات للكتاب المقدس أو اللاهوت، بل الواقع أن من هؤلاء من ينتظم في هيئات دينية، والبعض الآخر من هؤلاء المستشرقين وجد نفسه في نطاق هذه الدراسة مصادفة، نتيجة للإقامة أو خدمة التبشير أو الخدمة العسكرية في بلد إسلامي "[2].

وبهذا تتضح بجلاء العلاقة الوثيقة بين الاستشراق والتنصير.

---

١ – انظر فلسفة الاستشراق. د / أحمد اسمايلوفتش. ص١٢٨.

٢ – انظر المستشرقون الناطقون بالإنجليزية د / عبد اللطيف طيباوي. ص ٤٨٢. ملحق بكتاب الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخصيصة الثانية

أنها دراسات ذات صلة وثيقة جدا بالاحتلال الغربي للشرق

لعب الاستشراق دورا خطيرا في رسم خريطة الفكر الغربي عن الشرق الإسلامي ومعلوم قطعا أنها بدت غاية القبح حيث رسمها المستشرقون بصورة منفرة غاية التنفير. ولم يكن ذلك إلا لغرض إيغار صدور أبناء الغرب وساسته لاحتلال هذه البلاد ونهب خيراتها، ولا يمكن تاريخيا فصل الاستشراق عن الاحتلال، فكان المستشرقون طلائع الغرب لاحتلال هذه البلاد. " وأن تكون هذه الطلائع من الذين تعلموا اللغة العربية وغيرها من لغات الشرق لكي يستطيعوا التحدث إلي الشعوب، والبحث في الآثار، والتعرف علي الأفكار، والقيام بالدعايات، وإثارة المنازعات وإشعال الخلافات حتى تقع البلاد فريسة بين مخالب الاستعمار. ولتحقيق هذا الهدف أكثروا من هذه الطلائع ليمارسوا التجسس علي البلاد والتعرف علي أحوالها، وكتابة التقارير عنها. وكان لابد للجاسوس أن يلبس ثوب العالم بلغة البلاد، ويصطنع البحث العلمي وأن يسعى لخلق صلة بين الأهالي وجيوش الاحتلال إذا دخلت البلاد "[1].

وقطعا كان هذا الجيش من الطلائع من المستشرقين وبهذا نقطع قطعا جازما أن كلا من الاستشراق والاحتلال يمثلان جناحي الغرب في السيطرة علي الشرق الإسلامي.

وإذا كان الاستشراق يسبق الاحتلال ليمهد له وليكون دليلا شارحا له يعرفه بموارد البلاد ومواطن الضعف فيها وعوامل القوة وأسباب الوهن عندها. فإن

---

١ - انظر " نحن والمستشرقون " أ / حسين الهراوي. ص ١٤ ط / المنار. القاهرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاحتلال محضن لهذا الاستشراق وراع له وتستطيع أن تقول إن كلا منهما كان مقدمة للآخر وفي نفس الوقت نتيجة له.

فظاهرة الاستشراق ترتبط ارتباطا عضويا بظاهرة الاحتلال الأجنبي فحيث يكون الاحتلال يكون الاستشراق. فكل الدول المحتلة الغربية لها مؤسسات استشراقية. وكذلك حين يتوسع الاحتلال يتوسع الاستشراق. فقد توسعت الدراسات الاستشراقية توسعا كبيرا ارتبط بتوسع الاحتلال البريطاني والفرنسي، وبخاصة خلال القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، ثم بتوسع الاحتلال الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية حتى الآن.

فالقاعدة التي لا تتخلف هي:

أن الاحتلال يصحبه دائما الاستشراق، وتوسع الاحتلال يصحبه دائما توسع الاستشراق "[1].

ومن المهم هنا التنبيه علي أن كثيرا من الدبلوماسيين الغربيين والأمريكيين يقوم بتدريبهم علي كيفية القيام بمهامهم في الدول الشرقية المستشرقون. يقول د/ عبد اللطيف طيباوي: " والمستشرقون يعملون بالطبع خلال اضطلاعهم بواجباتهم المعتادة علي تدريب دبلوماسيين ومبشرين ورجال أعمال بجانب جهودهم في العمل[2].

ولخدمة الدول الغربية المحتلة للبلاد العربية والإسلامية. كان الاستشراق لا ينسي في كل محفل ومناسبة وبكل وسيلة أن يؤكد أن اللغة العربية لغة عتيقة ولا

---

١ - انظر رؤية إسلامية للاستشراق. ص ٨. بتصرف.

٢ - المستشرقون الناطقون بالإنجليزية. د / طيباوي. ملحق بكتاب الفكر الإسلامي الحديث ص ٤٨٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تصلح لشيء وأنها جامدة وأن اللغات الغربية أجدى وأنفع وهي لغة العلم. أو علي الأقل يوحي بترك العربية إلي اللهجات المحلية الدارجة.

وما كل ذلك إلا للقضاء علي الفصحى وإحلال اللغات المحتلة مكانها. وما زالت أثارها شاهدة كان من أفجعها فرنسة التعليم في البلد الإسلامي العربي الشقيق الجزائر سنة ٢٠٠٠ م.

ولخدمة الاحتلال وقواه ودوله أوجد الاستشراق بمكر ودهاء وصبر عصبيات إقليمية، ونسج قوميات، وبعث من رميم المقابر القديمة حضارات ليربط بها المسلمين والعرب وينسبهم إليها بعد تفتيت نسبتهم للإسلام.

" حتى وجدت بين العرب اتجاهات متعارضة، اتجاه يزعم أن وطنه أقرب للغرب منه إلي الشرق، وآخر يزعم أن حضارة بلده آشورية بحتة، أو فرعونية صافية، أو فينيقية زاخرة، ولا علاقة لها جميعا بالحضارة الإسلامية العربية من قريب أو بعيد... كان الاستشراق مصنعا لكل هذا وذاك. وكان الاحتلال مستهلكا أمينا له "[1].

ومن الأدلة الدامغة لقوة العلاقة بين الاحتلال والاستشراق:

أن معظم المستشرقين في الثلاثة القرون الثامن عشر، والتاسع عشر، والعشرين، كانوا يعملون في وزارات الخارجية للدول الكبرى المحتلة. مثل فرنسا وإنجلترا وهولندا – وأمريكا.

---

١ – انظر فلسفة الاستشراق ص ١٢٢. بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نماذج لهؤلاء:

١- أرنست رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢م) المؤرخ والناقد الفرنسي المشهور بالاستشراق. كتب عن تاريخ النصرانية، وعن حياة المسيح، وتاريخ شعب إسرائيل. ورسالة عن ابن رشد. أنكر فيها علي المسلمين فلسفتهم، وزعم أنها فلسفة يونانية مكتوبة بحروف عربية. كان في كتاباته دائما ما يركز علي تفرقته الباطلة بين ما يسميه بالجنس الآري والذي يمتاز بملكة الاكتشاف والابتكار والإبداع. وبين الجنس السامي - الذي ينتسب إليه العرب - الذي ينعدم فيه هذه الملكة[١].

والذي يهمنا هنا أن نعرف أن أرنست رينان، هذا كان يعمل مخططا رسميا للاحتلال الفرنسي - لبلاد الشرق -، وغيره من دول أوربا ذات الاهتمام بالاستشراق [٢].

٢- سنوك هرجرونيه (١٨٥٧ - ١٩٣٦م) . الهولندي الجنسية تمثل حياته ونشاطاته بكل وضوح العلاقة الوثيقة بين الاستشراق والاحتلال الأجنبي لبلاد الإسلام. وقد اشترك في عمليات جاسوسية خطيرة لخدمة الاحتلال ولدوره وأثره البالغ في ذلك سماه بعضهم (البطل المكافح) الذي قدم نفسه فداء للمسيح.

كان يحسن تمثيل دور المسلم ويتقن عددا من لغات المسلمين. وهو الذي دخل مكة المكرمة وظل فيها ستة أشهر مختفيا تحت اسم عبد الغفار وأخذ صورا للمقدسات ومشاهد الحج وكتب تقارير لصالح هدف الاحتلال. وكانت رحلته المشئومة هذه سنة ١٨٨٥م.

---

١ - انظر ترجمته موسعة في الإعلام للزركلي والموسوعة الميسرة.

٢ - انظر فلسفة الاستشراق ص ١٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

له أثره الخطير في معاملة هولندا المحتلة لإندونيسيا. حيث أقام في بلدة جاوا – وحدها سبع عشرة سنة ! وقام بمهمة سرية تجسسية لجمع المعلومات عن المسلمين في إقليم آجي، ومع إكرام المسلمين له هناك إلا أنه غدر بهم وخانهم حيث أوصي الحكومة الهولندية باتباع العنف معهم والإفناء لعلمائهم. فكانت تقاريره تسويغا لحرب ضروس قام بها الجيش الهولندي بقيادة الجنرال " فان هوتس " والذي منح لقب سيف سنوك الضارب. لأنه أباد قرى بكاملها، ومعلوم أن هولندا قتلت في بلاد إندونيسيا أكثر من مائه ألف من المسلمين.

يقول " فان كوننكز فليد ":

(لقد وضع " سنوك هورخرونيه " كفاءاته (العلمية) في خدمة الحرب الاستعمارية في الوقت الذي كان " مولتا تولي" أعظم أدباء القرن التاسع عشر (في هولندا) قد أتحف القراء في هولندا بكتابه " ماكس هافلار " وبجواهره الأدبية الرائعة الأخرى، لاستنكار سياسة الحكومة الهولندية الاستغلالية في إندونيسيا. وعند الجنرال " فان در ماتن " – صديق " سنوك هورجرونيه " الذي رأي أن المجد حازه الجنرال " فان هوتس " يجب أن يكون لسنوك – لأن: " مولتا تولي لم يكن عنوان هولندا الرائع بل إن سنوك هورجرونيه هو زهرة الشعب الهولندي. وقد كتب الجنرال " فان در ماتن " كتابا بجزئين "لرد اعتبار " شرف " سنوك هورجرونيه " بعد أن انتزعه الجنرال " فان هوتس " علي الصعيد الرسمي، والشعبي منه في قضائه علي " تمرد " إقليم " أجي " الإندونيسي، فشيد له نصب تذكاري بينما عاش " سنوك هورجرونيه " في الوسط الاستشراقي الهولندي[1].

---

١ – نقلا عن كتاب الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية د / قاسم السامرائي ص ١٢٤ ط دار الرفاعي للنشر والتوزيع الرياض ط الأولي سنة ١٤٠٣ هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عمل سنوك هرجرونيه علي فتح مدارس تنصيرية في إندونيسيا.

وهو الرأس المدبرة والمخططة. لسياسة " الترابط الثقافي " بين هولندا وإندونيسيا[١].

وأذكر من هؤلاء المستشرقين أيضا لكن علي عجل:

٣- كارهيزيش بيكر. ت ١٩٣٣م مؤسس مجلة الإسلام الألمانية قام بدراسات تخدم أهداف الدول الكبرى المحتلة لأفريقيا[٢].

يقول المستشرق الألماني (أوليريش هارمان Harmann: (كانت الدراسات الألمانية حول العالم الإسلامي قبل عام ١٩١٩م أقل براءة وصفاء نية. فقد كان كرل هينريش بيكر ــ وهو من كبار مستشرقينا ــ منغمساً في النشاطات السياسية، حتى إنه أصبح في ١٩٣٠م شديد الحماس لمخطط استخدام الإسلام في أفريقيا والهند كدرع سياسية في وجه البريطانيين)[٣].

٤- بارت تولد ت ١٩٣. م مؤسس مجلة عالم الإسلام الروسية قام ببحوث تخدم مصالح سيطرة وسيادة روسيا في آسيا الوسطي[٤].

---

١ - انظر زؤية إسلامية للاستشراق. ص ٥٩ - ٦١. وأيضا الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.

٢ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. ٢ / ٧٠٤. .

(٣) - انظر الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د/ محمود زقزوق عند حديثه عن الاستشراق والاستعمار.

٤ - السابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- وحديثا المستشرق " لوران موراويك "(١) الأمريكي الذي ظل يحاضر أكثر من أربع ساعات في البنتاجون – وزارة الدفاع الأمريكية – عن المملكة العربية السعودية، والعجيب أنه يذكر في محاضرته أن المملكة ممارسة للعداء ضد أمريكا !، كما يتحدث دائما عن الأزهر ودوره بلهجة غير موضوعية، و منها دعواه أن الأزهر تأثر بالمذهب الوهابي! على حد تعبيره.

والسؤال: لماذا يلقي هذا المستشرق مثل هذه المحاضرة العارية عن الصحة في البنتاجون؟.

ومما لا شك فيه أن للاستشراق اليد الطولي في الاحتلال لكثير من بلاد الإسلام ونهب ثرواتها. " فبفضل المستشرقين وبفضل ملاحظاتهم التي جمعوها من السياحة في دار الإسلام، ومن الكتب. وبذلوها لملوك المسيحية الشمالية نشأت طبقة الساسة الذين يعدون ما استطاعوا من عدة لرد غائلة الإسلام ثم قهره في عقر دياره، ولتحقيق الأحلام والاستشراق التي كانت تخامر قلب كل أوربي أن يظفر بكنوز الدنيا المدفونة في دار الإسلام وما وراء دار الإسلام. وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم

---

(١) ينظر جريدة الشرق الأوسط الثلاثاء ١٢ شوال ١٤٢٣هـ ١٧ ديسمبر ٢٠٠٢م العدد (٨٧٨٥). ولوران عمل في مؤسسة " راند " للأبحاث، ويعمل حاليا بمعهد " هدسون" وكلاهما من المؤسسات البحثية الأمريكية المعنية بالشرق الأوسط لصالح السياسة الأمريكية المعاصرة. ويصنف موراويك كخبير أمريكي بارز في الشرق الأوسط، خاصة في قضايا المملكة العربية السعودية.ومن كتبه: " مصائر الأمم " و " حرب القرن الحادي والعشرين " و"روح الإسلام" وهو – على حد تعبيره – محاولة لفهم المكونات الثقافية للإسلام.ويظهر من مقابلاته أنه يأخذ معلوماته من كتابات المستشرقين السابقين ومن التقارير الصحفية، فلقد سأله الصحفي في الشرق الأوسط. هل تعرف العربية وتقرأ بها؟ فأجاب: لا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رجال "الاستعمار" وبفضلهم – أي المستشرقين – وحدهم أيضا وبفضل ملاحظاتهم التي زودوا بها رهبان الكنيسة ثارت حمية الرهبان، ونشأت الطائفة التي نذرت نفسها للجهاد في سبيل المسيحية وللدخول في قلب العالم الإسلامي لكي تحول من تستطيع تحويله عن دينه إلي الملة المسيحية، وأن ينتهي الأمر إلي قهر الإسلام في عقر داره.. وهؤلاء رجال التنصير فهذه ثلاثة متعاونة متآزرة متظاهرة. وجميعهم يد واحدة، لأنهم إخوة أعيان، أبوهم واحد، وأمهم واحدة ودينهم واحد، وأهدافهم واحدة، ووسائلهم واحدة.. وحاجة التنصير والاستعمار إلي الاستشراق كانت ملحة وهي إلي اليوم حاجة دائمة. لا يستغنيان عنه ولا عن نصائحه – وإرشاداته وملاحظاته طرفة عين)[1].

من جرائم مستشرقي الحملة الفرنسية علي مصر:

ولم تقف أعمال المستشرقين عند حد المعاونة بكل ما أتوا من قوة للاستعمار بل إنهم كانوا حريصين علي سرقة كل كتب العلم والمعرفة من البلاد التي يحتلونها. وهذه إحدى جرائم الاستشراق وفي جعبته ما هو أقبح !! وهذا أنموذج شاهد سجله تاريخ الحملة الفرنسية المشئومة علي مصر.

يقول العلامة محمود شاكر:[2] ولكنهم لم يرحلوا عن القاهرة المخربة وعن الشعب الذي استنزفوا ثروته بالضرائب والإتاوات مدة ثلاث سنوات، حتى سرق المستشرقون المصاحبون للحملة الفرنسية، ومستشرقون آخرون من كل جنس سرقوا

---

١ – انظر رسالة في الطريق إلي ثقافتنا للعلامة محمود شاكر – رحمه الله – ص٧٤، ٧٥، بتصرف، طبعة الهلال المصرية. ومعلوم أن الحملة الفرنسية علي مصر بقيادة نابليون كانت سنة ١٧٩٨م.

٢ – السابق ص ١٤٦، ١٤٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كل نفيس من الكتب، وكانت القاهرة يومئذ من أغني بلاد العالم بالكتب. ودليل السرقة قائم بين أعيننا إلي هذا اليوم.. قائم في جميع مكتبات أوربة، صغيرها وكبيرها، في فرنسا وانجلترا وهولندا وروسية وغيرها من البلدان وفي الأديرة والكنائس. ويذكر عن الجبرتي قوله " وأخذ الفرنسيون ما وجدوه إلي بلادهم " أي من الكتب.!!

ثم قال أيضا الجبرتي وهو يذكر قصة شروط الصلح للجلاء عن القاهرة، ومن الشروط: أن الفرنسيين " يصطحبون معهم ما يحتاجونه من أوراقهم وكتبهم، ولو التي شروها من مصر " هكذا في الشرط، والصحيح: " ولو التي سرقوها من مصر ".

ولقد تعرى الاستشراق ودهاقنه من كل قيمة أخلاقية أو إنسانية في خدمة أهدافه الدنيئة، وبلا مقابل اللهم إلا رضا المستعمر المحتل عنه بعد إغداق العطايا والوظائف للمستشرقين. وإياك أن تنسي الحقد الدفين علي الإسلام وأهله !!

وأذكرك هنا بما سبق عن المستشرق سنوك وكيف سوغ إبادة قرى بكاملها للجيش الهولندي، وما كان لهؤلاء الذين أبيدوا من جريرة تذكر إلا أنهم أعلنوا فقط أنهم لا يريدون الاحتلال.

ومما يندى له جبين الحر – إن بقي أحرار – (أن هذا المستشرق كتب في كتاب له لم يترجم إلي العربية، قال فيه ما ملخصه: إنه أقام في مكة ليدرس الحياة العائلية فيها، وبالتالي ليمهد السبيل أمام سيطرة النفوذ الاستعماري علي أقدس بقعة للمسلمين)[1].

---

١ – انظر المستشرقون والدراسات الإسلامية – محمد عبد الله مليباري. هامش ص ٨٢. ط ونشر دار الرفاعي. الرياض سنة ١٩٩٠م وأفاد أنه اطلع علي مصورات من هذا الكتاب عند د / عمر الطيب الساسى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا عجب في ذلك من أمثال هؤلاء دهاقنة الاحتلال ودعاته وسماسرته، فهذا خبيث آخر هو ريتشارد بورتون دخل مكة في مهمته المكلف بها من قبل شركة الهند الشرقية البريطانية المعروفة. لدخول الجزيرة العربية ودراستها، كتب في معرض حديثه عن مكة أنه سمع الكثيرين منهم(يذكرون أن الإسلام مكتوب له أن يصادف كثيرا من الإحن والنكبات في مقبل الأيام، ويخلص من هذا إلي القول أن المسيحيين المتحمسين لنشر عقيدتهم وديانتهم في العالم يمكن أن يجدوا في وضع المسلمين الفكري هذا فرصة الانتشار والتغلغل.. ثم يقول: إن الوضع لا يحتاج إلي كثير من التنبؤ قبل الأوان ليستنتج المرء بأن الإنكليز لا بد أن تضطرهم الأحوال السياسية لأن يحتلوا بالقوة ينبوع الإسلام هذا وقبلته)[1].

أما مستشرقو الحملة الفرنسية علي مصر. فقد فعلوا ما هو أدهي وأمر. لقد انتفض بعض الغيورين من شباب مصر وراحوا يقلّبون الناس علي هذا الغازي المحتل الذي أباد وقتل وسفك الدماء. فما كان من جزار القاهرة إلا التوعد بأن يذبح (عند مشرق كل شمس خمسة أو ستة تقطع رؤوسهم ويطاف بهم في أنحاء القاهرة. ولا شك عندي أن هؤلاء الخمسة أو الستة هم من طلاب العلم في الأزهر، ومن المحرضين علي مقاومة هذا الغازي المنتهك لحرمة دار الإسلام. وأن الاستشراق هو الذي كان يقدمهم لهذا الجزار المشمعل (أي السريع النشط) وأنه كان يتخيرهم له، لأنه كان علي معرفة سابقة بهم، وأنهم كانوا من الطلبة النابهين... كان الاستشراق كامنا في أحشاء نابليون. هو الذي يوجهه ويلقنه ويدر به علي أساليب المداهنة... وكان رأس الاستشراق في الحملة الفرنسية هو "فانتور" المستشرق الداهية المحنك المتستر الخفي الوطء[2].

---

١ – السابق ص ٧٩ نقلا عن موسوعة العتبات المقدسة ص ٣٠٢.

٢ – انظر رسالة في الطريق إلي ثقافتنا ص ١٥٦، ١٥٧. وقد نقل عن الجبرتي في تاريخه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكذا يكشف عن هذه العلاقة. بين الاستشراق والتنصير والاحتلال.

وإذ كان المحققون يقولون ((الاعتراف خير الأدلة)) فهو أوثق أدلة الإثبات وإني لقناعتي بذلك أسجل هنا مقولة تمثل اعترافا – ولو عن غير قصد – وهي للمستشرق د / ريجيس بلا شك. يقول في مقدمة كتابه تاريخ الأدب العربي: ((ولعل الزمن قد حان لكي تتجاوز حدود هذه الأبحاث، وهذا ما رميت إليه في كتابي عن تاريخ الأدب العربي، فهو في آن واحد عمل تركيبي وتفصيلي غايته تزويد المحللين والمتخصصين في دراسة الأدب المقارن بأداة لا غنى عنهم سبقنا إليها في الآداب الأخرى[1]. فأنت تراه هنا – رغم تخفيه في أسلوبه – يقدم غاية بحثه الأولي وهي: خدمة المستعمرين بأداة لا غنى عنها)). !!

والحق أن سعي المستشرقين لتمكين الاحتلال الأجنبي من بلاد الإسلام أمر لا يخفي علي أي باحث لديه شيء من الفهم مع الإنصاف.

يقول الدكتور / محمد البهي – رحمه الله – ((وينطوي عمل الدارسين للإسلام من المستشرقين علي نزعتين رئيسيتين: النزعة الأولي: تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، وتمهيد النفوس بين سكان هذه البلاد لقبول النفوذ الأوربي والرضاء بولايته... ثم يحدد مظهر هذه النزعة في أمرين: الأول: إضعاف القيم الإسلامية. الثاني: تمجيد القيم الغربية[2].

وخدمة لأهداف الاحتلال الأجنبي للشرق الإسلامي يكرسون دراساتهم في مجال العلاقات بين الشعوب الإسلامية، وصلات هذه المجتمعات بعضها ببعض

---

١ -نقلا عن المستشرقون والدراسات الإسلامية. ص ٤٨.

٢ – انظر الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٤٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذلك بهدف إذكاء ((الفرقة القائمة، وليثيروا أسبابا أخرى للقطيعة وعدم الاتصال فيتحدثون عن الكرد والعرب في العراق، وعما بين الجنسين من فوارق في تصور الحياة وفهم العقيدة والأماني القومية. وعلي هذا النحو يتحدثون عن المفارقات بي العرب والبربر في شمالي أفريقيا، وبين سكان الشمال وسكان الجنوب في السودان - حتى قامت الحرب بين الجانبين أكلت اليابس والأخضر ومع أن أصحاب الجنوب لا شرعية ولا قانونية فإن الغرب أمريكي يدعمهم بكل قوة – وبين الشيعة والسنة في بغداد أو في إيران والبلاد الإسلامية الأخرى – كباكستان، والهند – وعلي الأخص يتحدثون عن العداء بين شعب الجزيرة العربية – وما يسود فيها من مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب من جانب، وشعبي العراق وإيران وما يسود فيهما من اتجاه شيعي من جانب آخر...))[1].

وهكذا لا ينقطع سعيهم عن خلق ثغرات وفجوات واصطناع معارك وبث الفرقة بين أبناء الإسلام ليحققوا أهدافهم الاحتلالية.

يقول الدكتور مراد هوفمان – مستشرق سابق –: " والحق أيضا أن معظم المستشرقين عن وعي أو غير وعي كانوا أداة لخدمة الاستعمار- الاحتلال- الذي تقحم البلاد العربية وأخضعها لسلطانه، وإن كان بعض هؤلاء الرجال جواسيس للغرب بالفعل "[2].

وهكذا يتبين ما بين الاستشراق والاحتلال من صلة.

---

١ – السابق ص ٤٩.

٢ – الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان ص ٢١٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخصيصة الثالثة

أنها دراسات غير موضوعية [في الأعم الأغلب]

المفترض أن المستشرق طالما رضي لنفسه أن يسلك سبيل تحصيل المعرفة، ونشرها بين الناس فكان من الواجب عليه أن يكون سليم القصد صحيح النهج لا تؤثر علي نتائج دراساته وغلة أبحاثه أي مؤثرات خارجة عن المنهج البحثي العلمي النزيه. من عوامل التحيز، وأعرافه، وقيمه، ومذهبه، وخلفيته الفكرية.

والواقع أن الأعم الأغلب من دراسات هؤلاء المستشرقين غير موضوعية ولا منهجية وكان بوسعهم أن تكون علمية رائدة. لو أنهم اتبعوا المنهج العلمي ولم يقعوا في شباك التعصب والأهداف الدينية النصرانية واليهودية، والأهداف السياسية والاحتلالية.

ومما يؤسف له أن المستشرقين يكثرون الحديث عن المنهج العلمي وضرورة التمسك بقواعده والالتزام بضوابطه. وهم في الواقع المشاهد بعيدون عن ذلك بعدا غير يسير.

وأبين ذلك بجلاء في النقاط الآتية:

أولا: هناك جمع من المستشرقين لا يملكون المنهج العلمي، أو علي الأقل ينقصهم الكثير منه.

والبديهي أن سلامة المنهج تقتضي معرفة تامة باللغة – أعني لغة البحث والدراسة – وهي هنا اللغة العربية بنحوها وصرفها ونثرها وشعرها وأدبها وبلاغتها ومجازها وحقيقتها، ثم يكون علي وعي بحقيقة ثقافة القوم الذين يكتب عنهم والثقافة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واسعة شاملة متشعبة، ثم تمام صحة المنهج أن يكون ذا عدل وعدالة تزيل ما يطرأ علي قلمه من أهواء بعد إزاحتها عن ساحة فكره وإعمال عقله.

ولا شك أن جل المستشرقين يفتقد هذا الشرط – شرط اللغة – لأنها لغة بعيدة كل البعد عن اللغة التي نشأ في بيئتها ورضع لبانها وتعلم بوعائها وتثقف بثقافتها.

فالمستشرق (فتي أعجمي، ناشئ في لسان أمته وتعليم بلاده ومغروس في آدابها وثقافتها (ألماني أو إنجليزي، أو فرنسي) حتى استوي رجلا في العشرين من عمره أو الخامسة والعشرين، فهو قادر أو مفترض أنه قادر تمام القدرة علي التفكير والنظر. ومؤهل أو مفترض أيضا أنه مؤهل أن ينزل في ثقافته ميدان " المنهج " و " ما قبل المنهج " بقدم ثابتة. نعم، هذا ممكن أن يكون كذلك.

ولكن هذا الفتي يتحول فجأة عن سلوك هذه الطريق ليبدأ في تعلم لغة أخرى (هي العربية هنا) مفارقة كل المفارقة للسان الذي نشأ فيه صغيرا، ولثقافته التي ارتضع لبانها يافعا يدخل قسم "اللغات الشرقية" في جامعة من جامعات الأعاجم، فيبتدئ تعلم ألف باء تاء ثاء،أو أبجد هوز، في العربية، ويتلقى العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها، عن أعجمي مثله، وبلسان غير عربي، ثم يستمع إلي محاضر في آداب العرب أو أشعارها أو تاريخها أو دينها أو سياستها بلسان غير عربي، ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل. ثم يتخرج لنا" مستشرقا " يفتي في اللسان العربي، والتاريخ العربي، والدين العربي !! عجب فوق العجب !!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كيف يجوز في عقل عاقل أن يكون صاحب منهج ! وهذا الشرط صعب عسير علي الكثرة الكاثرة من أبناء هذه اللغة أنفسهم، ولا يبلغ هذا المبلغ إلا القليل منهم؟!

إن غاية ما يمكن أن يجوزه " مستشرق " في عشرين أو ثلاثين سنة، وهو مقيم بين أهل لسانه الذي يقرع سمعه بالليل والنهار: أن يكون عارفا ما بهذه "اللغة"، وأحسن أحواله عندئذ أن يكون في منزلة طالب عربي في الرابعة عشرة من عمره، بل هو أقل من ذلك علي الأرجح، أي هو في طبقة العوام الذين لا يعتد بأقوالهم أحد في ميدان " المنهج " و " ما قبل المنهج ". !

وإذا كان أمر اللغة بهذه الحالة التي لا تخول المستشرق تحقيق هذا الشرط في المنهج. فإن الشرط الثاني للمنهج وهو الثقافة أشد وأعتي. لأن الثقافة ((سر من الأسرار الملثمة في كل أمة من الأمم، وفي كل جيل من البشر، وهي في أصلها الراسخ البعيد الغور، معارف كثيرة لا تحصي، متنوعة أبلغ التنوع لا يكاد يحاط بها، مطلوبة في كل مجتمع إنساني، للإيمان بها أولا من طريق العقل والقلب، ثم للعمل بها حتى تذوب في بنيان الإنسان وتجري منه مجرى الدم لا يكاد يحس به، ثم للانتماء إليها بعقله وقلبه، انتماء يحفظه ويحفظها من التفكك والانهيار.

وهذه القيود الثلاثة – الإيمان، والعمل، والانتماء. هي أعمدة الثقافة وأركانها... وبديهي بل فوق البديهي أن شرط الثقافة بقيوده الثلاثة ممتنع علي المستشرق كل الامتناع، بل هو أدخل في باب الاستحالة من اجتماع الماء والنار في إناء واحد !! إذن أقصي ما يمكن أن يبلغه المستشرق في هذا الشأن أن يكون شاديا حصل طرفا من العلم شأن الطالب الذي ما زال يدرس عندنا في مراحل الدراسة. وهذا في شأن المستشرق الذي شاب قرناه ! فما بالك بغيره ! فأعجب العجب إذن أن يعد أحد شيئا مما كتبه المستشرقون في لغتنا وثقافتنا وتاريخنا ودينا داخلا في حد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممكن، وأن يراه متضمنا لرأي حقيق بالاحترام والتقدير، فضلا عن أن يكون عملا علميا " أو " بحثا منهجيا " [1]..!

وقد اعترف بعدم المنهجية عدد غير قليل من المستشرقين. ومجمل هذه الآراء أن كتابات المستشرقين عن العالم العربي والإسلامي في نسبة ضخمة منها عديمة الجدوى، للقصور الواضح عند هؤلاء المستشرقين.

ومن هؤلاء الثنائي هاملتون جيب – وهارووولد بون – في كتابهما " المجتمع الإسلامي والغرب " حيث جاء فيه: وعلي أي حال فإننا حين نفحص ما يمكن العثور عليه منها ولا يمضي طويل وقت حتى نكتشف أن نسبة ضخمة منها عديمة القيمة بسبب ما تحتوي من قصور واضح كنقص في الخبرة الوثيقة بالموضوع، أو جهل بلغة البلاد، أو اعتماد علي السماع المشكوك في صحته أو عدم دراسة الأساس التاريخي إلي غير ذلك من وجوه النقص... [2].

ومثل هذا الاعتراف لاثنين من كبرائهم يدلك علي تأكيد ما سبق. والواقع أبلغ شاهد. وممن اعترف بها (أيضا – عدم موضوعية الدراسات الاستشراقية – المستشرق بيرسي كمب. وكذلك المستشرق مونتجمري واط. ويضيف بأن هذه الموضوعية مفتقدة في مجال الدراسات الإسلامية منذ بداية الاستشراق [3].

---

١ – انظر رسالة في الطريق إلي ثقافتنا. محمود شاكر. من ص ١٠٣ – ص ١٠٦. بتصرف.

٢– المجتمع الإسلامي والغرب لهاملتون جيب وهارووولد بوون ١ / ٧، ٨ نقلا عن فلسفة الاستشراق ص ٢٠١.

٣ – ينظر أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر. (ص ٢٢٠، ص ٢٢١) د/ محمد خليفة حسن. ط جامعة الإمام ط الأولى سنة ١٤٢١ هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا: ولأن الدراسات الاستشراقية مرتبطة بالاحتلال والتنصير في النشأة والأهداف، فإنها تغفل الموضوعية، وتتساق وراء أهدافها الاالاحتلالية التوسعية والسياسية والتنصيرية، ومن الصعب أن تتخلص من ذلك. لأنها في الحقيقة إنما كتبها أهلها للمثقف الأوربي الغربي. ليندفع هو الأخر كمواطن يتأثر مع بقية المواطنين الغربيين بما يكتبه هؤلاء عن الشرق والعرب والإسلام ليدفعهم هذا اللون من التثقيف إلي تحقيق أهدافهم التوسعية والدينية. وقد تحولوا بالفعل إلي جيوش جرارة لحروب عسكرية استمرت فترات طويلة – ثم حروب فكرية ما زالت تستبل كل سبيل ولا تتردد في الأخذ بأي وسيلة غير مشروعة لتحقيق أهدافها.

وقد بينت فيما سبق عمق الصلة بين الاستشراق والاحتلال، وكذلك الاستشراق والتنصير.

ثالثا: ولم تكن موضوعية حيث غلب عليها نزعتان: النزعة اللاهوتية الكنسية المتعصبة، والنزعة التفوقية العنصرية.

والمقصود أنها كتابات في دوافعها وأهدافها تقترب كثيرا غالبا وتقترب إلي حد ما في أحيان أخري من نصرة ما جاءت به الكنيسة وما قررته تعاليم الآباء والقساوسة والرهبان. وإن زعمت وادعت أنها كتابات علمية محايدة.

ولا شك أن النزعة اللاهوتية أثرت أثرا كبيرا في الاستشراق قديما، وكان من المفترض أن تضعف أو تقل هذه النزعة اللاهوتية في كتابات المستشرقين إلا أنه من الواضح – والواضح جدا – أن الكتابات الاستشراقية ما زالت تتضح بهذه النزعة حتى يومنا هذا وربما اشتدت وطأتها في موضوعات معينة. مما يدحض كل زعم بأن المنهجية والموضوعية لها وجود في كتابات المستشرقين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عوامل هذه النزعة:

وتتلخل هذه النزعة اللاهوتية يرجع إلي:-

١- دور الكنيسة في دعم الاستشراق.

٢- ولا يمكن أن يهمل عامل الحسد والحقد علي الإسلام.

٣- ومن جانب آخر الخوف منه.

٤- كما تعود هذه النزعة أيضا إلي محاولة إظهار قوة للمبادئ والعقائد النصرانية والمندحرة دائما وأبدا أمام عقائد وتعاليم الإسلام.

ومما يظهر أثر هذه النزعة في كتابات المستشرقين حتى حينه ذلك الكتاب الذي عنوانه "عقائد الإسلام"[١] للمستشرق "هومان استيجل أكر". حيث يسجل هومان نفسه في كتابه هذا ما يؤكد ما قلته سابقا فهو يقول: إننا يجب أن نكسب وجهات نظر جديدة لعقائدنا المسيحية، بناء علي فهمنا العميق للتعاليم الإسلامية وفهمنا لنفسية المسلم المتدين، وذلك حتى نتجنب نقاط الضعف فيما نستخدمه من أدلة حتى اليوم، تلك النقاط التي تظهر لنا عند دراستنا للإسلام وحتى نبني من جديد دفاعا جديدا عن العقيدة المسيحية: دفاعا يدع في حسابه روح الإسلام والتطور الفكري للمسلمين فيما يتعلق بعقائدهم خلال ما يزيد علي ألف عام. [٢]

---

١ - أعد هذا البحث بتمويل من الكنيسة الكاثوليكية علي مر ثلاثين سنة. ! زعم كاتبه أنه كتب عن عقائد الإسلام كما يعتقد المسلمون، والحق أن هذا الزعم سرعان ما ضاع هباء لكثرة سلبياته.

٢ - انظر ص ٨٠٩، ص ٨١٠. نقلا عن فلسفة الإستشراق. ص ٢١٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومما يثير العجب في هذا الكتاب – الذي صدر في النصف الثاني من القرن العشرين – ما ذكره كاتبه حول أسباب انتشار الإسلام فأغرب فقال بلا مواربة أن ذلك يرجع إلي تأثير الخوف والانزعاج وانتشار الرعب في كل مكان أمام جيوش المسلمين الزاحفة !! [1].

وهكذا يقع أكر أسيرا للاهوتية متعصبة يردد أكذب مقولة في الواقع !! وأقل كتابات المستشرقين وأخفها من هذه النزعة."الذين توصلوا – بعد عناء مرير !! – مع أنفسهم إلي التوافق علي قبول صدق محمد – ﷺ– والاعتراف بأنه دعا إلي دين جديد متميز تميزا أساسيا يعودون ليؤكدوا في الوقت نفسه أن رسالة محمد – صلي الله عليه وسلم – لم تكن كلها من مصدر إلهي "[2].

إنها عقدة المستشرقين اللاهوتية والتي تمثل ثابتا من ثوابت الكتابة عن الإسلام عند جميعهم فهذا أحدهم والذي كتب كتابات قيمة – على حد تعبير د/ طيباوي – عن حياة محمد – ﷺ – يقول:إن على الإسلام أن يقر بحقيقة أصله،ذلك التأثير التاريخي للتراث الديني اليهودي المسيحي[3].

والتاريخ الفكري المعاصر لا يبرئ الاستشراق من شرور هذه اللاهوتية المتعصبة ففي أكبر دول العالم وأقواها – الولايات المتحدة الأمريكية. في مايو سنة ١٩٧٨ م. في مدينة كلورادوا يقول الجمع وهم مؤتمرون بغرض دراسات لتنصير المسلمين يقولون ((إنه هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية – والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا...

---

١ – انظر السابق ص ٢١١.

٢ – انظر الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٤٨٨.

٣ – المستشرقون الناطقون بالإنجليزية د/ طيباوي ص٤٨٩. عن السابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونحن بحاجة إلي مئات المراكز لفهم الإسلام، و لاختراقه في صدق ودهاء"!![1].

و في هذا المقام أذكر ما يدعو إليه المستشار المؤتمن لصناع القرار الغربي وهو " هانتنجتون " حيث ((أشار علي قومه بترتيب الأولويات في معارك صراع الغرب مع الآخرين... فقد دعاهم إلي البدء بكسر شوكة الحضارة الإسلامية والحضارة الكونفوشيوسية – الصينية – مع تحييد الحضارات الأخرى حتى يفرغ الغرب من الإسلام والصين، وبعد ذلك يستدير الغرب للصدام والصراع مع الحضارات التي حيدها والتي أبت النموذج الغربي، والذوبان في التغريب))[2].

وهكذا يتضح لك جليا شأن هذه النزعة اللاهوتية لا أقول في الاستشراق بل في كل عمل فكري وسياسي بدوره يتعلق بالشرق الإسلامي. وبالإسلام كدين وكأمة.

وعن أثر النزعة اللاهوتية في الاستشراق يقول الأستاذ / عمر العالم: إن اللاهوت يؤلف القاعدة العلمية والتنظيرية لكل ثقافات وديانات الغير، وقد كان أساتذة اللغات الشرقية، العبرية وأخواتها، واليونانية، كانوا علي الإطلاق من رجال اللاهوت أو أنهم انطلقوا منهم، وأن أعمالهم في هذه الحقول اعتبرت في حينها بمثابة تكملة للشروح اللاهوتية التي كان يتوجب تسليح روادها بالمعارف اللازمة لشرح الكتاب المقدس. وهذه التبعية للاهوت لم تمكن الاستشراق في القرنين السابع عشر والثامن عشر من التوصل إلي نتائج علمية ذات قيمة مستقلة إلا بشكل نادر[3].

---

١ – انظر الترجمة العربية لوثائق المؤتمر. ص ٤٥٢. ط مركز دزاسات العالم الإسلامي. مالطا سنة ١٩٩١م

٢ – انظر الإسلام والآخر. د / محمد عمارة. ص ١٤٤. مكتبة الشروق ط الأولي سنة ٢٠٠١م.

٣ – انظر الاتجاهات الجمالية والمنهجية في حركة الاستشراق. مجلة رسالة الجهاد. العدد ٧٣، ٧٤. جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨ هـ يناير ١٩٨٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه التبعية الاستشراقية للاهوت أثرت علي استقلالية الاستشراق، فأصبح الاستشراق في مجال الإسلاميات أشبه بعلم للجدل. بل هو أقرب إلي الحركة الجدلية التي تهدف إلي الدفاع عن اليهودية والنصرانية ضد الإسلام، والدفاع عن التراث اليهودي والنصراني ضد التراث الإسلامي. وفي كثير من المراحل جمع الاستشراق بين هدفي الدفاع والهجوم في نفس الوقت فكان مدافعا عن اليهودية والنصرانية ومهاجما للإسلام. الأمر الذي جعل من الاستشراق فكرا تابعا للاهوت اليهودي النصراني[1].

وأما عن النزعة التفوقية:

فالمقصود بها نظرة الغرب إلي نفسه، ونظرته إلي غيره – ومعلوم أنه ينظر إلي نفسه نظرة تفوق وعلو وهيمنة، في حين ينظر إلي الغير – الأمم الأخرى – نظرة الدون والتخلف والجهل. وقد تجسدت في الغرب هذه النزعة في الوعي، واللاوعي، والتي قامت علي أسطورتين: الأولي: ابتداع تاريخ أقصي – أبعد – منه الشرق. من مجاله الجغرافي، والتاريخي والفلسفي والعلمي.

الثانية: الاعتقاد بأن الإنسانية حكر علي الغرب دون سواه. ومن خلال أسطورة الجنس الأبيض ومهمته الحضارية.

وكان لهذه النزعة – وما زال – شرها المستطير علي العالم. حيث أسهمت بحظ كبير في تسويغ الاحتلال لبلاد الشرق، والسيطرة عليها. وإلي اليوم فإن الغرب بمفكريه وساسته يتحدثون مسوغين حروبهم الغاشمة بواجبهم نحو إدخال الأجناس

---

١ – انظر أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر. د / محمد خليفة حسن. ص ١٣٩، ١٤٠ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأخرى – الدنيا – الحضارة، وتخليصهم من حياتهم الرديئة، ومنحهم نعمة الحرية والمدنية الغربية التي يعيشها العالم الحر [1].

وقد دأب المفكرون الغربيون والمستشرقون منهم بالذات علي إبراز تفوق الغرب علي الشرق في كل ميادين الحياة، وليصلوا إلي هذه الكذبة حرصوا علي صناعة ثقافة تاريخية للغرب مؤداها أنه صانع الحضارات والوارث لها ذو النسب الأثيني اليوناني والإغريقي، متجاهلا بذلك دور الحضارات الأخرى خاصة الحضارة الإسلامية التي أوصلت بعد أن غربلت وأضافت وطورت في الخريطة الفكرية القديمة وأسبغت نور الحضارة علي هؤلاء.والتي لولا هي ما وصل الغرب إلي هذا التقدم التكنولوجي. حيث كان العامل الأول في ذلك نقل المنهج العلمي التجريبي إلي الغرب من الأندلس علي يد روجر بيكون [2].

" وبديهي أن يكون المستشرقون " كما عرفت صفتهم هم أسبق الناس إلي معرفة هذه الحاجة الملحة التي تضمن للزحف الأكبر علي دار الإسلام أن يسير علي هدي لا يختل ولا يضل، ويعصم أكبر قدر ممكن من أشتات الزاحفين، حين يدخل دار الإسلام ليطول مقامهم بها، ويجري بينهم وبين من يخالطونهم ما يجري بين

---

١ – تسمع هذا وتقرأه في خطابات الزعماء والمفكرين الغرب أمريكيين ، ولا ينسى الناس ما قاله الوزير الأمريكي "هنري كيسنجر " بعد حرب العاشر من رمضان وموقف الملك فيصل – رحمه الله – حيث قرر وقف الإمدادات النفطية، قال: من المرعب والمعيب أن يتحكم مجموعة من راكبي الجمال بطاقة و مقدرة العالم، على راكبي الجمال العودة إلى جمالهم!.

٢ – الإنجليزي المولد والجنسية. ولد سنة ١٢١٤ م وتوفي سنة ١٢٩٤ م { ٦١١ – ٦٩٣ } هـ ممن شام العرب والعربية. وجاهد في التعليم جهاد المستميت بصبر ودأب. وأخذ علومه من العرب وكان علي صلة وثيقة بهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الناس من التفاوض وتجاذب الأحاديث – يعصمه أن ينبهر بما يري أو يسمع، أو أن تضعف حميته، أو تلين قناته، أو يتردد ويتلجلج.

لابد إذن من أساس يرتكز عليه تفكيره – ومن صورة سابقة شاملة ثابتة يثق بها ويطمئن إليها، ويثق أيضا بصدقها وأمانتها، حتى يتمكن من أن يرفض أكثر ما يري وما يسمع، إذا هو خالف ما يعتقد أنه الصورة الوثيقة المأمونة التي سوغه إياها دارس عارف بأحوال هؤلاء الناس...فكتبوا وصنفوا لكن لهدف واحد لا غير: هو تصوير الثقافة الإسلامية والعربية، وحضارة العرب والمسلمين بصورة مقنعة للقارئ الأوربي، وبأسلوب يدله علي أن كاتبها قد خبر ودرس.. كان جوهر هذه الصورة هو أن هؤلاء العرب والمسلمين هم في الأصل قوم بداة جهال لا علم لهم كان، جياع في صحراء مجدبة، جاءهم رجل من أنفسهم فادعي أنه نبي مرسل، ولفق لهم دينا من اليهودية والنصرانية، فصدقوه بجهلهم واتبعوه،...

وقامت لهم في الأرض بعد قليل ثقافة وحضارة جلها مسلوب من ثقافات الأمم السالفة كالفرس والهند واليونان وغيرهم، حتى لغتهم كلها مسلوبة وعالة علي العبرية والسريانية والآرامية والفارسية والحبشية،.. وأن هذه الحضارة إنما هي إحدى حضارات " القرون الوسطي " المظلمة – بثوا تلك الصورة في كل كتبهم بمهارة وحذق وخبث معرق، وبأسلوب يقنع القارئ الغربي المثقف كل الإقناع، وتنحط في نظره حضارة الإسلام وثقافته انحطاط " القرون الوسطي " ويزداد بذلك زهوا بأن أسلافه من اليونان والآريين كانوا هم ركائز هذه الحضارة المزيفة الملفقة دينا ولغة وعلما وثقافة وأدبا وشعرا، ويزداد بذلك الغربي، أيا كان، غطرسة وتعاليا وجبرية، ولا يري في الدنيا شيئا له قيمة، إلا وهو مستمد من أسلافه اليونان والآريين والهمج الهامج.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبذلك استطاع الاستشراق أن يدرج الإسلام وثقافته وحضارته في مستنقع. ليأمن بذلك عصمة العقل الغربي المثقف من أن يزل زلة، فيرى في دين الإسلام أو في ثقافته وحضارته، ما يوجب انبهاره كما انبهر أسلاف له من قبل. تساقطوا في الإسلام وثقافته وحضارته طواعية[1].

وأصبح الاستشراق في جزء من أبحاثه مروجا لهذه النظرة. والمستشرقون جزء من بناة هذه النزعة التفوقية الاستعلائية العنصرية." فهناك بحوث لها وزنها في الفكر الاستشراقي مثل أبحاث رينان، ولابي وكرومر، ودوماس، وهانوتو، ولامنس، وزويمر، وغيرهم التي تدل علي هذه النزعة دلالة قاطعة يستحيل الشك فيها " [2].

ويعترف "غوستاف لوبون" بأثر هذه النزعة في كتاباتهم متسائلا: لماذا ينكر علماء الغرب تأثير العرب. وهم – الغرب – الذين يضعون مبدأ حرية الفكر فوق كل اعتبار؟ ثم يجيب عن هذا التساؤل فيقول: "لا أرى غير جواب واحد عن هذا السؤال الذي أسأل نفسي به أيضا وهو أن استقلالنا الفكري لم يكن في غير الظواهر بالحقيقة وأننا لسنا من أحرار الفكر في بعض الموضوعات كما نريد.

فالمرء عندنا ذو شخصيتين: الشخصية العصرية التي كونتها الدراسات الخاصة والبيئة الخلقية والثقافية، والشخصية القديمة غير الشاعرة التي جمدت وتحجرت بفعل الأحداث، وكانت خلاصة لماض طويل. والشخصية غير الشاعرة وحدها ووحدها فقط هي التي تتكلم عند أكثر الناس وتمسك فيهم المعتقدات نفسها

---

١ – انظر " رسالة في الطريق إلي ثقافتنا – من ص ٨٨ – ٩١ – بتصرف. وانظر ما كتبته المؤرخة الفرنسية " صوفي بسيس " في كتابها " الغرب والآخرون – قصة تفوق " نشر دار " لاديكو فيرت " باريس. فرنسا – سنة ٢٠٠١ م.

٢ – انظر فلسفة الاستشراق. ص ١٩٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مسماة بأسماء مختلفة وتملي عليهم آراءهم فيلوح ما تمليه عليهم من الآراء حرا في ظاهر الأمر فيحترم.

والحق أن أتباع محمد (صلي الله عليه وسلم) ظلوا أشد من عرفته أوروبا من الأعداء إرهابا عدة قرون وأنهم كانوا عندما لا يرعدوننا بأسلحتهم كما في زمن " شارل مارتل " والحروب الصليبية، أو يهددون أوروبا بعد فتح القسطنطينية كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم الساحقة. وأننا لم نتحرر من نفوذهم إلا بالأمس.

وتراكمت مبتسراتنا الموروثة ضد الإسلام والمسلمين في قرون كثيرة، وصارت جزءا من مزاجنا، وأضحت طبيعة متأصلة فينا تأصل حقد اليهود علي النصارى الخفي أحيانا والعميق دائما، وإذا أضفنا إلي مبتسراتنا الموروثة ضد المسلمين مبتسرنا الموروث الذي زاد مع القرون بفعل ثقافتنا المدرسية البغيضة القائلة إن اليونان واللاتين وحدهم منبع العلوم والآداب في الزمن الماضي أدركنا بسهولة سر جحودنا العام لتأثير العرب العظيم في تاريخ حضارة أوروبا، ويتراءى لبعض الفضلاء أن من العار أن يري أن أوروبا النصرانية مدينة لأولئك الكافرين في خروجها من دور التوحش، فعار ظاهر كهذا لا يقبل إلا بصعوبة[1].

فلقد تجمعت العقد الموروثة، عقد التعصب التي ندين بها ضد الإسلام ورجاله، وتراكمت خلال قرون سحيقة حتى أصبحت ضمن تركيبنا العضوي [2].

---

١ - نقلا عن الغزو الفكري. د/ علي عبد الحليم. ص ٨٣، ٨٤. ط جامعة الإمام ط الأولي ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٢ - من كلام غوستاف أيضا. نقلا عن وجهة العالم الإسلامي. مالك بن نبي. ص ٤٣ ط دار الفكر سنة ٢٠٠٠م ط ٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذه النقيصة في كتابات المستشرقين مستمرة إلى يومنا هذا، ولم يتطور الموقف ونحن في بدايات القرن الحادي والعشرين !، وإذا ما تساءلت لماذا هذا التجاهل؟ تأتيك الإجابة بأن تجاهل الأمريكي والأوروبي بالإسلام وحضارته أمر لا يضر، ولا يعد عيبا ولا نقصا في التعليم.

يقرر ذلك شاهد منهم خبرهم، ثم من الله عليه بالإسلام، وهو د/ مراد هوفمان. يقول: تظهر معاداة الإسلام حاليا في صور كثيرة، منها: الاستبعاد، تطبيق معايير مزدوجة، وأبرزها العدوان الإلحادي العنصري.

لنبدأ بالاستبعاد. سنة بعد سنة نجد كتبا دراسية في تاريخ الفلسفة، تشمل أكثر الكتب مبيعا، مثل الكتاب الساذج " عالم الصوفية " [1]. ولا يجد المرء فعليا تعريفا مناسبا لفيلسوف مسلم. قد يذكر ابن سينا وابن رشد، ولكن بأسمائهما اللاتينية وسط علماء اللاهوت والفلسفة الكاثوليك، وعادة ما يتم تجاهل الكندي، الرازي، الفارابي، الأشعري، مدرسة المعتزلة، الغزالي... جزء من ظاهرة التجاهل هذه الجهل الذي لا يغتفر بالإنجازات الحضارية الهائلة للمسلمين في الأندلس من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر !. ثم يقول: لأبسط الأمر: جهل المرء بالإسلام وحضارته، لا يعد في أمريكا وأوروبا نقصا في التعليم [2].

---

(١) جوستين جاردنر. أوسلو ١٩٩١م.

(٢) الإسلام عام ٢٠٠٠م تعريب عادل المعلم. ص ٥٤،٥٥ ط العبيكان الأولى سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م. وقد ذكر ممن انتقد هذا ايضا " سلمى جايوس " في كتابها " تراث أسبانيا المسلمة".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مظاهر هذه النزعة في الدراسات الاستشراقية:

وفي ضوء هذه الكتابات الاستشراقية نستطيع أن نحدد عددا من مظاهر هذه النزعة الاستعلائية التفوقية وهي:

١- أن العقلانية واحترام القانون والحرية من خصائص الغرب لا غير.

٢- أن الروح العلمية الخالصة هي من ميزات الغرب.

٣- أن الابتكار والإبداع والاكتشافات قاصرة علي الغرب.

٤- أن الحضارات وما قدمته للإنسانية قديما وحديثا قام بها الغربيون الآريون واليونانيون قديما، وأوروبا وأمريكا حديثا. فلهم وحدهم الفضل.

٥- أسطورة واجب الرجل الأبيض تجاه الآخرين- طبعا الشرقيين - نحو التحضر والتمدن والتحرر-وبمعني أصح وأوضح للسيطرة عليه !!.

٦- أن الحضارة الإسلامية ملفقة وأنها لم تدم طويلا لأنها لم تقم علي أساس حضارة اليونان [١].

٧- أن تقدم الغرب ناتج عن تعاليم الديانة النصرانية، وأن تخلف الشرق والمسلمين ناتج عن تعاليم الإسلام[٢].

---

١ - كتب ذلك " جوستاف فييت " الفرنسي النصراني المتعصب في كتابه مجد الإسلام. انظر دراسة د / حسين مؤنس. عن الاستشراق من واقع نتاجه. الفكر الإسلامي. ص ٤٦٢.

٢ - هكذا صرح أرنست رينان - الفرنسي. في محاضرته " الإسلام والتقدم " والذي رد عليه الشيخ محمد عبده رحمه الله - بين الإسلام والمسيحية - في كتاب طبع، وفعل فعلة رينان جبرائيل هانوتو. كما ذكر ذلك أيضا الشيخ أنور الجندي - رحمه الله - في عدد من كتاباته منها " في مواجهة الغزو الثقافي" ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من آثار هذه النزعة في الكتابات الاستشراقية:

كان لكتابات المستشرقين ذات النزعة التفوقية آثار سلبية علي الاستشراق والعالمين الغربي والإسلامي: فهي:

أولا: ساهمت بشكل كبير في تسويغ احتلال الغرب للبلاد الإسلامية. كما سبق.

ثانيا: خرجت بالدراسات الاستشراقية عن الموضوعية، وانحرفت نحو إرضاء ظمأ غربي ثقافي ديني حاقد علي الإسلام وحضارته.

ثالثا: وضعت سدا منيعا أمام كشف الزيوف التي أقامها رجال الكنيسة ومعاونوهم من المفكرين عن الإسلام.

رابعا: ساهمت وبشكل – لا يستهان به – في تكريس الخوف الغربي المصطنع من الإسلام والمسلمين.

خامسا: دعمت وبشكل مباشر روح العنصرية الجاهلية في العالم.

سادسا: ساهمت في ظهور وتأييد الصهيونية الحديثة القائمة علي الفكر العنصري.

سابعا: ترسيخ فكرة أن السعادة للأقوياء. وأن للجنس الأبيض السيطرة علي العالم. وهو المبدأ الخاسئ المنطلق " من منطق القوة لا قوة المنطق ".

ثامنا: إثارة الدعوة إلي الأجناس لإحلالها محل الأديان في العالمين الغربي والشرقي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تاسعا: إيجاد الصراعات والنزعات والحروب بين الأجناس والعرقيات المختلفة كما حدث في حروب قديمة وحديثة من أخطرها حرب النقاء العرقي – بالأندلس – أسبانيا حاليا، والبوسنة والهرسك. حديثا.

عاشرا: تمزيق الوحدة الإسلامية.

حادي عشر: إثارة النعرات وإحياء القوميات والعصبيات القديمة، وتحريك العصبيات الحديثة – كالفرعونية، والفينيقية، والآشورية قديما، وحديثا كالبربر والعرب، والشيعة والسنة... الخ.

وهكذا لا يستطيع أي منصف أن ينكر أثر هذه النزعة العنصرية العفنة في الكتابات الاستشراقية والتي أثرت أثرا كبيرا في علاقة الغرب مع الشرق الإسلامي. حتى في أحسن أحوال هذه العلاقات كما شهد بذلك شاهد من أهلهم وهو الأستاذ / باول شميتز في كتابه " الإسلام قوة الغد العالمية " حيث يتحدث عن محاولات الصداقة التي تحاول بعض الدول الأوربية إظهارها للعالم الإسلامي.

ويذكر أن هناك موقفين تجاه هذه الإعلانات ذات التقرب وخطب الود. موقفا: يرى في ذلك دعوة ممكنة للعمل المشترك البناء والمثمر لدول الشرق الإسلامي.

وأما الموقف الآخر:- والذي يخطي بتأييد باول شميتز فيري في هذه الإعلانات صداقة لا تخرج عن أن تكون علاقة بين السيد والخادم، أو بين القوي والضعيف، علاقة خضوع أحد الجانبين للآخر[1].

---

١ – انظر الإسلام قوة الغد العالمية. باول شميتز. ترجمة. د / محمد شامة ص ٣١٥ – ٣١٧. ط ونشر مكتبة وهبة – القاهرة سنة١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خضوع العالم الإسلامي وتبعته للعالم الغربي !! وهذه أحسن أحوال الغرب مع الشرق.

ويضاف إلي ما سبق من أسباب جعلت دراسات المستشرقين غير موضوعية: خضوع المستشرق لرؤيته الذاتية ولأهوائه. وكذلك خضوعه لقيم مجتمعه . مما أدي إلي إسقاط قيم المجتمع المدروس. ويتضح ذلك في أن المستشرق الغربي (يسقط قيم الحضارة الأوربية علي الحضارات الأخرى. ومن بينها الحضارة الإسلامية. فيراها دائما في وضع متخلف عن الحضارة النموذج – وهي هنا الغربية – ويري تقدمها – الحضارة الإسلامية – في محاولة ارتقائها إلي الحضارة النموذج وهذا الارتقاء لا يتم إلا من خلال محو القيم الإسلامية وطمسها كهدف معرفي مقصود للاستشراق، وبناء نسق جديد للقيم في إطار قيم الحضارة النموذج)[1].

ومما له كبير الأثر في غياب الموضوعية تمذهب الباحث بمذهب ما وخضوعه لهذا المذهب، أو لأ يديولوجية معرفية لها تأثيرها الغائر في الشعور واللاشعور. ومعلوم أن الخضوع للأيديولوجيات لا تتفق والموضوعية في البحث بل هي – كسوءة لها – تدمر المنهجية تدميرا تاما.

ولا شك أن المستشرق إن لم يكن نصرانيا كان يهوديا، وإلا فعلماني، أو شيوعي...وهذه مذاهب مازالت سائدة في الغرب كأيديولوجيات لها أثرها الذي لا ينكر في مقام الفكر والثقافة والاجتماع والسياسة. وسلطان المذهبية معروف أثره. حيث ينطلق الباحث من مسلماته – التي هي في ظنه كذلك – ليطبقها علي موضوع الدراسة فهي عنده الميزان، والمعيار الذي يقيس به وعليه.

---

١ – انظر أزمة الاستشراق. ص ٢٢٨، ٢٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكذا يتضح بجلاء غياب المنهجية والموضوعية في الدراسات الاستشراقية مما يجعلنا نقرر باطمئنان أنها دراسات غير علمية.

نماذج لأخطاء المستشرقين المنهجية وعيوب موضوعيتهم المزعومة: -

١ - الازدواجية في دراساتهم:

نتج عن عدم موضوعية الدراسات الاستشراقية جملة من الأخطاء العلمية التي تؤكد "أن وصف الاستشراق بالعلم وصف غير حقيقي"[١].

وتجد من الباحثين من يشهد للاستشراق بتطور الموضوعية العلمية في دراسة الأديان والملل. ويكاد يجمع الباحثون والمفكرون علي ذلك إلا في دراستهم للإسلام. فهم عند ذلك يتخلون عن الموضوعية. فلا يصعب علي القارئ والمثقف أن يجد في دراسات للمستشرقين عن الديانات الهندوسية والبوذية والكونفوشيوسية والتاوية وغيرها من النحل والملل منهجا علميا يكاد يكون متزنا إلى حد كبير.

وقد يجدها دراسات علمية منهجية قيمة. إلا أن الإسلام لا يعامل هذه المعاملة. وهذا ما شهد به القوم.

يقول مستشرق سابق وهو الأستاذ " ليوبولدفايس "[٢] والذي أسلم بعد وتسمي بمحمد أسد: قد لا تقبل أوربة تعاليم الفلسفة البوذية والهندوكية ولكنها تحتفظ دائما

---

١ - السابق ص٢٣٣.

٢ - مفكر وصحفي نمساوي- حكى في كتابه (الطريق إلي مكة) تفاصيل رحلته إلي الإسلام. أنشأ بمعاونة وليم بكتول - والذي أسلم أيضا - مجلة (الثقافة الإسلامية) في حيدر أباد الدكن - وكتب فيها دراسات قيمة جلها في تصحيح أخطاء المستشرقين. من أهم آثاره (الإسلام علي مفترق الطرق).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن، ومبني علي التفكير، إلا أنها عندما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفي في التسرب، حتى إن أبرز المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام. ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته. وليس ذلك قاصرا على بلد دون آخر. إنك تجده في إنجلترا، وألمانيا وفي روسيا وفرنسا، وفي إيطاليا وهولندا، وبكلمة واحدة في كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام [1].

ويقول شاهد آخر: " فوصف الموضوع وصفا علميا دقيقا مبنيا علي أساس من المشاهدة والملاحظة والتجربة أمر يكاد يكون معدوما في الدراسات الاستشراقية عن الإسلام، خاصة في تلك المداخل عن الإسلام التي قدمها عدد كبير من المستشرقين. إذ لا يوجد وصف دقيق للإسلام كدين كما نجد مثلا في الدراسات القيمة التي قدمها مؤرخو الأديان والمستشرقون المتخصصون في الديانات الأخرى غير الإسلام، والذين تمكنوا من تناول موضوعاتهم تناولا علميا قدموا فيه معرفة وصفية للدين. للدين المدروس اقتربت كثيرا من التعبير الصحيح عن الأديان الأخرى. أما بالنسبة للإسلام فقد فشل المستشرقون في الفصل بين الوصف والتقييم، وقدموا وصفا للإسلام ممتلئا بالأحكام التقييمية والتخيلات غير الموضوعية، والتفسيرات والتأويلات المذهبية، والإسقاطات الأيديولوجية، وغير ذلك من العوامل المفسدة للوصف السليم للإسلام. هذا بخلاف عمليات التشويه والتزييف لحقائق الدين الإسلامي. وأصبح اختلاق الأكاذيب وإثارة الشبهات هدفا وغاية. والحقيقة أن طمس

---

١ - انظر كتابه (الإسلام في مفترق الطرق) بتصرف ص٥٠، ٥١. ط مكتبة المنار بالكويت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحقيقة وسترها كان ولا يزال الهدف الاستشراقي الأسمى وهو هدف مضاد للموضوعية العلمية، بل هو نقيض الموضوعية"[1].

وقد سجل هذه النقيصة – أعني الازدواجية – الكاتب الشهير عباس محمود العقاد [2]، كملحوظة علي كتابات المستشرقين عن الإسلام. فهو يقول: وعندهم – دائما – أن مسائل الإسلام موسومة بالغرابة والمخالفة لما عداها من المسائل العالمية، فهم يتطلبون الشذوذ الغريب ابتداء من النظرة الأولي، ولا يحسبون أن التفسير العلمي يتسع لتفسير الإسلاميات وغير الإسلاميات علي قاعدة واحدة من قواعد الفهم والتحليل، وقد تسربت طريقتهم هذه في التأليف إلي عقول قرائهم وتلاميذهم من الشرقيين المسلمين وغير المسلمين، فكلهم يبتدئ البحث بالتفرقة بين ما يبحثه من شئون الإسلام، وما يبحثه من أمثالها في التاريخ القديم أو التاريخ الحديث من شئون الأمم الشرقية والغربية الأخرى، وكلهم يخص الإسلام بمنظار (خاص) من أول نظرة. ولا يحمل ذلك المنظار نفسه حين يتحول بالنظر إلي سواه[3].

ولا يزال الغرب حتى الساعة التي نحن فيها يعاملنا بهذه المعاملة الازدواجية، يكيل بمكيالين، مكيال لغير العرب والمسلمين ، ومكيال للعرب و المسلمين. وهذا ظاهر للعيان [4].

---

١ – أزمة الاستشراق. ص ٢٣٤، ٢٣٥.

٢ – شاعر وكاتب عربي مصري. ولد في أسوان ١٨٨٩ – توفي سنة ١٩٦٤ م رحمه الله. اشتغل بالصحافة وثقف نفسه ثقافة واسعة متنوعة. وله كتابات عديدة في مجالات شتي. ومن أهم ما كتب في الإسلاميات كتابه " ما يقال عن الإسلام " والعبقريات.

٣ – ما يقال عن الإسلام. ص ١٦.

٤– ذكر د / مراد هوفمان نماذج كثيرة لهذا. ينظر كتابه الإسلام سنة ٢٠٠٠م ص ٥٥ – ٦٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا: إيمانهم بأحكام وأفكار مسبقة عن الإسلام ثم محاولة الاستدلال عليها.

من نافلة القول أن علي الباحث دخول ميدان بحث موضوعه محل الدراسة وهو متجرد من أي أحكام، حيث المفترض أن الأحكام لا تتكون إلا بعد البحث والدراسة واستخلاص النتائج ثم عرضها واختبارها، فما يثبت بعد ذلك يكون حكما سليما وفكرة صحيحة.

إلا أن واقع المستشرقين مخالف لذلك تماما إلا ما ندر. فإنهم يعتقدون قبل الدليل ثم يلتمسون ما يؤيد معتقدهم. وتسبق إلي عقولهم الأفكار ثم يبحثون ويجلبون ما يثبت صحتها. !!

ولا شك أن هذه طريقة بعيدة كل البعد عن البيئة العلمية الصحيحة والمقبولة. إنها أشبه " بأساليب محاكم التفتيش التي أنشأها النصارى، والتي كانت تقوم علي الإيمان بفكرة مسبقة لا سبيل إلي مناقشتها وهي قداسة آراء الكنيسة، وتكفير كل من يخالفها حتى لو كان علي صواب، وهكذا درسوا الإسلام، وفي أذهانهم مقدمات ثابتة، وهي أنه دين باطل، وفي سبيل إيمانهم بهذه المقدمة ضربوا عرض الحائط بكل الأدلة الحسية والعقلية التي تهدم مقدمتهم، وفي الوقت ذاته خلقوا – اختلقوا – من الوهم أدلة باطلة تؤيد دعواهم "[1].

وينقل الشيخ أنور الجندي – رحمه الله – عن باحث خبر كتاباتهم وهو الدكتور / حسين الهراوى. قوله: إني لأعلم أن المستشرقين ينقصهم في مباحثهم عن الإسلام الروح العلمية، وإن لهم في الاستقصاء طريقة لا تشرف العلم، وهي أنهم يفرضون فرضا ثم يلتمسون الدليل عليه. فإذا وجدوا في القرآن ما يهدم نظرتهم

---

١ – انظر احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام. د / سعد الدين السيد صالح. ص ١١٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تجاهلوه، والتمسوا الآيات التي تناسب المعني المراد، ولا مانع من بترها إذا اقتضي الحال، أو تحريف معناها حسب الرغبة.[1]

بل ويسجل د / حسين الهراوي. النتيجة التي خرج بها من دراسة الاستشراق فيقول: خرجنا من كل مباحثنا هذه إلي أن المستشرقين يتعمدون عند البحث في كل ما يختص بسيدنا محمد (صلي الله عليه وسلم) أن يغلفوا استنتاجاتهم العلمية بآرائهم الشخصية علي ما فيها من خطأ وما فيها من غرض تمليه عليهم روح الاستعمار ومقاومة الإسلام في شخصية سيدنا محمد (صلي الله عليه وسلم) أو في القرآن نفسه.[2]

وهذه الطريقة إنما تدل علي خبث طوية المستشرقين وسوء مقصدهم. حيث المقصد هو تشويه الإسلام وتصويره بصورة منفرة تنفر منه الناس. سواء من أتباعه أم من غيرهم.

كما يقول الطبيب المفكر / موريس بوكاي [3]: " كنت أتعلم عندما كنت شابا أن محمدا هو الذي ألف القرآن، ولقد قيل لي مرارا وتكرارا إن مؤلف القرآن قد جمع ببساطة قصصا من التوراة والإنجيل بشكل مختلف شيئا قليلا، ويثبت موريس بوكاى أن هذا ليس إلا زيفا وتضليلا وتشويها قام به المستشرقون- للأغراض التي

---

١ - موسوعة المقدمات والمناهج ٤ / ٨٤٨.

٢ - المستشرقون والإسلام ص ٧٣ ط المنار سنة ١٩٣٦ م.

٣ - الطبيب والعالم الفرنسي المعروف. كتب كتابه القيم " الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، أو القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم" وعالج هذا الموضوع علاجا جيدا خرج منه بقناعة تامة أن القرآن الكريم هو الوحي الصادق: فأعلن إسلامه وتسمى بسليمان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذكرت من قبل – ، ويقول: إنه ظل فترة علي هذا الاعتقاد حتى درس الإسلام بنفسه فاكتشف زيف وتضليل هؤلاء المستشرقين ".[1]

ويفصح أحد كبراء المستشرقين عن الهدف من وراء عدم الموضوعية. ليفضح نفسه ومن علي شاكلته. ذلكم هو المستشرق: " جبرائيل هانوتو " والذي يعترف بأن تثبيت ولاية المستعمر – المحتل – هو المقصود من وراء ذلك. يقول: وأفضل الطرق لتثبيت ولاية المستعمر الأوربي علي البلاد الإسلامية هو تشويه الدين الإسلامي وتصويره في نفوس معتقديه بإبراز الخلافات المذهبية.. مع شرح مبادئ الإسلام، شرحا يشوهها وينحرف بها عن قيمها الأصلية "[2].

---

١ – " ما أصل الإنسان " موريس بوكاي. ص ١٧٧. ترجمة مكتبة التربية لدول مجلس التعاون الخليجي. الرياض. نقلا عن الغزو الفكري. د / سعد صالح ص ١١٦، ١١٧. ويقول موريس بوكاي في كتابه " الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ": والواقع أننا ملزمون بملاحظة أن المعطيات الخاصة بالإسلام التي ذكرناها مجهولةعموما في بلادنا الغربية، ولا يدهشنا ذلك إذا تذكرنا الطريقة التي اتبعت في تثقيف الأجيال الكثيرة فيما يتعلق بالقضايا الدينية لدى الإنسان، وكيف فرض عليهم الجهل في كل ما يمس الإسلام، وهكذا فإن الاستعمال السائد حتى اليوم في التسميات مثل " الدين المحمدي " و " المحمديون " ليدل على الرغبة في أن تظل النفوس مقتنعة بذلك الرأي الخاطيء القائل بأن تلك معتقدات انتشرت بفضل جهاد رجل، وأنه ليس لله (بالمعنى الذي يدركه المسيحيون) مكان في تلك النعتقدات..؟ ولنضف أن كثيرا من معاصرينا المثقفين يهتمون بالجوانب الفلسفية والاجتماعية والسياسية في الإسلام دون أن يتساءلوا عن التنزيل الإسلامي بصورة خاصة كما كان يجب عليهم أن يفعلوه، ويرون من البديهيات أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد اعتمد على ما سبقه وذلك بقصد استبعاد قضية الوحي منذ البدْ. ينظر ص ٦ ط دار المعارف لبنان ط/ الرابعة سنة ١٩٧٧م.

٢ – انظر ما كتبه الأستاذ أنور الجندي " يقظة الفكر العربي في مواجهة الاستعمار " ص ٢٢٣ ط الرسالة سنة ١٩٧٢ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا يدل بوضوح علي أنهم عملاء أجراء للمحتل الأجنبي، إلا أن الجريمة تكبر بتدمير المنهج العلمي الذي يزعمون ارتداءه. !!

نماذج من الدراسات تؤكد ذلك:

وأذكر هنا مثالا يظهر لك بجلاء أن المستشرقين يبحثون عن أي شيئي يثبت ما اعتقدوه سابقا. ولو كان الخطأ المحض. والأنموذج الذي أذكره هنا من كتاب ترجم إلي اللغة العربية وذاع صيته حتى أنه طاف آفاق العالم الإسلامي. مقبولا مرضيا عنه. !

ذلكم هو كتاب " معالم تاريخ الإنسانية " للمستشرق: هـ. ج. ويلز. يقول عن النبي محمد (صلي الله عليه وسلم) ((وحدث في مكة قرابة سنة ٥٧٠ ميلادية أن ولد محمد (ﷺ) مؤسس الإسلام، وولد له أطفال عديدون كان اسم أحدهم " عبد مناف " أي خادم الرب المكي مناف، وذا يدل على أن محمدا (ﷺ) لم يكن توصل في ذلك الوقت إلى أية اكتشافات دينية، ويحتمل أنه رأى كنائس مسيحية في سوريا، ويكاد يكون محققا أنه كان يعرف الكثير عن اليهود وديانتهم، وأنه استمع إلى سخريتهم من ذلك الحجر الأسود في الكعبة، الذي كانت له السيادة على الأرباب القبلية الثلاثمائة ببلاد العرب ورأى جماهير الحجيج، ولحظ أمارات الختل وعدم الإخلاص والخرافات المتجلية في وثنية البلدة، فضاق بذلك ذرعا، وربما كان اليهود قد هدوه إلي الاعتقاد في الرب الواحد الحق دون أن يدرك ما حدث له ... وجاء بآيات معينة أعلن أنها قد أوحيت إليه عن طريق ملك من السماء)). [1]

---

١ - انظر ج٣ ص ٦٢٦ وما بعدها. نقلا عن الغزو الفكري د / علي عبد الحليم محمود. ص ٣٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويلف ويدور ويلز وغيره من المستشرقين – مع ظهور فضيحة الجهل علي أكبر مستوياتها – ليصلوا إلي ما اعتقدوه خطأ أن القرآن الكريم كتاب من صنع محمد (صلي الله عليه وسلم) وأنه مأخوذ من الديانتين اليهودية والنصرانية !!

وكما يقال: ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله تعالي علي صفحات وجهه وفلتات لسانه [١]. فهذا ((ولهلم رودلف)) يعترف فيقول – وبلا مواربة –: إننا لمضطرون أن نفترض أن اليهودية والمسيحية قد عرفتا السبيل علي نحو ما إلي مكة، التي يعنينا أمرها كثيرا لأنها موطن محمد (صلي الله عليه وسلم) وإن لم يكن ثم ما يثبت أنه كان بها يهود أو مسيحيون في عهد محمد (صلي الله عليه وسلم)، ومن العسير أن نظن أنه كان بها كثير منهم. وإلا لاحتفظت لنا السير بأنباء أكثر إسهابا مما تناهي إلينا. [٢]

ويؤكد هذا المعني د / عبد اللطيف طيباوي في بحثه عن المستشرقين الناطقين بالإنجليزية. يقول: ((وهكذا نجد كثيرا من المستشرقين الذين يحملون غيرهم أعباء معارفهم الخاصة يهملون ملاحظة مبادئ أولية للمنهج العلمي في معالجة المسائل التاريخية. فهم يؤكدون مثلا أن القرآن من إنشاء محمد (صلي الله عليه وسلم) ثم يذهبون مذهبا بعيدا في تأسيس الأحكام التاريخية والعقيدية والأدبية وغيرها علي هذا التأكيد.وسرعان ما ترتفع هذه بمحض الشهرة إلي مرتبة الحقائق))[٣].

---

١ – من قول سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٢٠٥طبة دار الفكر.

٢ – نقلا عن صور استشراقية. د / عبد الجليل شلبي. ص ٥٠. ط دار الشروق ط ٢. سنة ١٩٨٩ م.

٣ – ملحق بكتاب الفكر الإسلامي. ص ٤٨٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكذا تدوي هذه الاعترافات لتؤكد أن المستشرقين في حالة دراسة الإسلام يفترضون فروضا غير صحيحة بل أحيانا مضحكة. وليس ذلك ناتجا عن خلل عقلي عندهم، ولكن إذا كان الإسلام موضوع الدراسة فإن المستشرق " لا يرغب " في الفهم، ويقصد إلي تشويه المفهوم. وفي سبيل تشويه المفهوم يقوم بتغير عملية التفكير ذاتها من خلال إجراءات عقلية يخضع فيها الدين موضوع الفهم لمعايير فكرية خارجية تفرض عليه فرضا[1].

وذلك أن المستشرقين لا يريدون أن يفهموا الإسلام إلا في ضوء ما تعتقدوه مسبقا عنه. وهذا – ولا شك – خلل فكري كبير يندى له جبين البحث العلمي.

وأنقل هنا عبارتين للمستشرق مونتجمري وات كتقويم من وجهة نظره لكتابات المستشرقين عن الإسلام.

يقول في إحداها: ((إذا حدث وأن كانت بعض آراء العلماء الغربيين غير معقولة عند المسلمين، فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا دائما مخلصين لمبادئهم العلمية، وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من وجهة النظر التاريخية الدقيقة)).

ويقول في الأخرى: ((إن موقف العلماء الغربيين كان غالبا سيئا لما يبدو أنه يتضمنه من إنكار لمعتقدات الإسلام الفقهية. ولذا كانت الدراسات الغربية عن القرآن غير موفقة حتى من وجهة نظر أفضل العلماء))[2].

---

١ – انظر أزمة الاستشراق. ص ٢٦٥.

٢ – قالوا عن الإسلام. د / عماد الدين خليل. ص ٢٤ نقلا عن (محمد في مكة) ص ٦، ص ٥٥، ٥٦ – وهو لوات. ترجمة شعبان بركات. نشر المكتبة العصرية بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجل كتابات المستشرقين والغربيين وأحكام الساسة وأفعالهم ناطقة شاهدة بأنهم ينطلقون من أفكار بعيدة عنه سابقة مترسخة. وعلي حد تعبير أحد الباحثين " إن الأحكام المسبقة المضادة للعرب وللإسلام قد تجذرت في اللاشعور الجماعي للغربيين " [1]. وهكذا يتضح ما تعني به المستشرقون وأذنابهم من المنهجية والموضوعية العلمية.

ثالثا: فهم الإسلام في ضوء الفكر اليهودي والنصراني. !

من نواقض الموضوعية إخضاع موضوع الدراسة لمضامين فكرية، أو لمقولات عقلية معينة. ناقضها أو أبطلها موضوع الدراسة. وتوضيح ذلك أن المستشرقين أخضعوا – الإسلام الذي هو موضوع الدراسة هنا للمضمون الفكري اليهودي والنصراني. الذي أبطل الإسلام كثيرا من مقولات هاتين الديانتين بالحجة والبرهان مثبتا تحريفهما في كثير من كلياتهما وجزئياتهما.

وأدى هذا المسلك بالمستشرقين إلي عدم فهم الإسلام كما هو في مصادره وفي كتابات – وشروح – علمائه. ولم يكن هذا لندرة المصادر الإسلامية أو لعدمها، ولم يكن كذلك لعجز في العقلية الغربية الاستشراقية. كلا.

وإنما " المطلوب هو عدم فهم الإسلام في جوهره، وعلي ما هو عليه، ومن داخله، ومن واقع مصادره، ولكن المطلوب هو التمسك المسبق بالفهم اليهودي النصراني للإسلام وبالفكرة اليهودية النصرانية عنه، والتشبث المتعصب بها، وتقديم

---

١ – انظر حفريات الاستشراق، سالم يفوت. ص ٤٦. ط المركز الثقافي العربي المغرب سنة ١٩٨٩ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلام دائما وأبدا في ضوئها. ولذلك كان الحرص علي تغيير صورة الإسلام بالقدر الذي يظهره في ثوب يهودي مسيحي ".[1]

وأصبح هذا أصلا ومنطلقا ينطلق المستشرقون منه في فهمهم للإسلام حتى أنهم اعتبروا ما خالف فيه الإسلام الأفكار اليهودية والنصرانية يعتبر غريبا !! أو علي الأقل يؤول علي أنه سوء فهم من الإسلام للأصل اليهودي والنصراني!!.

ولذلك ترى جل الكتابات الاستشراقية – حتى المصنفة في كفة الإنصاف للإسلام – متأثرة بالفكر اليهودي. ويظهر ذلك للقارئ تلميحا وتصريحا.

نموذج لذلك:

وأقدم لك الدليل بهذا الكتاب الذي ترجمته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية سنة ١٣٧٧ هـ وهو كتاب " قصة الحضارة " ل " ول ديورانت ". فأنت تجد الكاتب مكثرا في الجزء الذي تحدث فيه عن شخص النبي محمد (صلي الله عليه وسلم) متشبعا بالروح اليهودية والصهيونية – المتعصبة – غارقا في المرويات السقيمة والضعيفة.

يقول د / محمد محمد حسين عنه: " مع أن ذلك الصهيوني الخبيث لا يروي عن النبي (صلي الله عليه وسلم) إلا الغرائب التي يخلعها من سياقها وظروفها حتى تبدو لغير الخبير بالتاريخ الإسلامي في صورة تثير السخط وتدعو إلي الاشمئزاز كالذي يصف المجرم وهو يساق إلي القتل ويعلق في الحبل، ويخفي ما اجترح من

---

١ – انظر أزمة الاستشراق ص ٢٦٧. وقد قال الأستاذ طيباوي وهو يعرض بحثا عن المستشرقين الناطقين بالإنجليزية – بريطانيين وأمريكان – إنهم قد عرضوا لدراسة الإسلام من خلال دراسات للكتاب المقدس أو اللاهوت. بل الواقع أن من هؤلاء من ينتظم في هيئات دينية. ص ٤٨٢. ملحق بكتاب الفكر الإسلامي الحديث د / محمد البهي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مفاسد وما أزهق من أرواح بريئة. تجد ذلك في كلامه عن قتله (صلي الله عليه وسلم) امرأة، وعن قتله شيخا ناهز المائة لأنهما هجواه [1] (ص ٣٥).

---

١ - وأما عن قتل الرجل الذي هجاه. هكذا يسوق الخبر من لا خلاق له من أخلاق البحث العلمي. والقصة - كما أخرجها البيهقي في سننه - علي اعتبار صحتها. فسياقها كالآتي: أن أبا عزة الجمحي كان ممن قاتل المسلمين في بدر. فأسر يومها. فقال للنبي (صلي الله عليه وسلم): يا محمد إني ذو بنات وذو حاجة وليس بمكة أحد يفديني وقد عرفت حاجتي. فحقن النبي (صلي الله عليه وسلم) دمه وأعتقه وخلى سبيله. فعاهده أن لا يعين عليه بيد ولا لسان. وامتدح النبي (صلي الله عليه وسلم) حين عفا عنه. فلما أتي مكة هجا النبي (صلي الله عليه وسلم) وحرض المشركين علي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وخرج مقاتلا المسلمين مرة أخرى يوم أحد فأسره المسلمون. فلما أتي النبي (صلي الله عليه وسلم) قال: أنعم علي. خلي سبيلي. فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) " لا يتحدث أهل مكة أنك لعبت بمحمد مرتين ". فأمر بقتله. انظر السنن الكبرى. للبيهقي تحقيق محمد عبد القادر عطا ٦ / ٣٢. نشر مكتبة دار الباز بمكة المكرمة سنة ١٤١٤ هـ.

وأنت تعرف كرم النبي (صلي الله عليه وسلم) مع الرجل حيث فداه من الأسر بلا شيئ. ومن عليه. وترى أيضا رذيلة خلف الوعد في الرجل. وهجاءه للنبي (صلي الله عليه وسلم) وبلا مبرر !! ثم إثارة الناس ودعوتهم لقتال النبي (صلي الله عليه وسلم). ثم مشاركته في القتال مرتين !! فهذه جرائمه التي أخفاها الكاتب عن عمد. أهذا أسلوب علمي؟!.

قال النووي في ترجمته في " تهذيب الأسماء واللغات ": اسمه عمرو بن عبد الله. وكان شاعرا يحرض بشعره على قتال المسلمين... وكان النبي (صلي الله عليه وسلم) منّ على أبي عزة هذا يوم بدر ثم ذهب إلي مكة وقال: سخرت بمحمد. فلما كان يوم أحد حضر وحرض بشعره على قتال المسلمين ٢ / ٥٣٨. ط دار الفكر، بيروت سنة ١٩٩٦ م. ط الأولي. وانظر الطبقات الكبرى. ٢ / ٤٣ طبعة دار صادر بيروت. وترى في هذه القصة فوائد جمة منها: العفو والحلم والشهامة، وألا ينخدع المؤمن من مثل الغادر والمتمرد مرة بعد مرة. وأما قصة هجاء المرأة للنبي (صلي الله عليه وسلم) وقتله إياها. فهي مروية من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو يسوق ذلك في أسلوب هادئ رزين كأنه يسوق خبرا من الأخبار العادية دون أن يعلق عليه أو يحتفل به، فلا يكاد القارئ المسلم ينتبه إلي غرضه الخبيث الذي هو في حقيقة الأمر التشنيع بالنبي (صلي الله عليه وسلم) عند المخدوعين بما تزوره الصهيونية الهدامة من كلمات براقة.. وليوهم أنه عليه الصلاة والسلام، لم يكن يرعى حرمة للنساء ولا للشيوخ. ومثل ذلك أيضا قوله: " وضمت صفية – وهي

=طريق محمد بن الحجاج اللخمي أبو إبراهيم الواسطي عن مجالد بن سعيد. عن الشعبي عن ابن عباس قال: هجت امرأة من بني خطمة النبي (صلي الله عليه وسلم) بهجاء لها فاشتد ذلك عليه وقال: من لي بها. فقال رجل من قومها أنا يا رسول الله.. فذهب إليها فقتلها. انظر مسند الشهاب للقضاعي ٢ / ٤٦، ٤٧، ط مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠٧ هـ ومذكورة في العلل المتناهية لابن الجوزى ١ / ١٨٠. طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى بيروت سنة ١٤٠٣هـ. ومعروف أنه كتاب يذكر الموضوع وما لا أصل له.. الخ. وقال: هذا مما يتهم بوضعه وأما عن محمد بن الحجاج فهو وضاع كذاب يضع الحديث. فرواياته مردودة. قال عنه يحيى بن معين: كذاب ذاهب الحديث. الجرح والتعديل. لأبي حاتم الرازي ٧ / ٢٣٤ ط دار إحياء التراث العربي. بيروت ط ١ سنة ١٩٥٢ م. وقال الإمام مسلم في الكنى والأسماء: منكر الحديث. ١ / ٦٣ ط الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة ط الأولي سنة ١٤٠٤ هـ تحقيق عبد الرحيم القشقرى. وانظر هذه الكلمات لأهل العلم وقد ذكرها ابن الجوزي في " الضعفاء والمتروكين " قال يحيى: كذاب خبيث، وقال مرة: ليس بثقه، وقال البخاري: منكر الحديث. وقال الدارقطني: يكذب، وقال ابن عدي: أحاديثه تشبه الوضع. وقال البغوي: كذاب يضع الحديث. ٣ / ٤٨ ط العلمية. بيروت ط سنة ١٤٠٦ هـ. وانظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال. للذهبي ٦ / ١٠١. ط العلمية بيروت سنة ١٩٩٥. ط الأولي. وهكذا أترك الحكم والجواب لك. فهل تراه منهجا علميا صحيحا؟!!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فتاة يهودية في السابعة عشرة من عمرها كانت مخطوبة لكنانة – إلي نساء النبي (صلي الله عليه وسلم). ص ٣٩ [١].

ومن أمثلة هذا الأسلوب الخبيث وصفه النبي صلوات الله وسلامه عليه. بأنه كان (يعني بمظهره الشخصي ويقضي في تلك العناية كثيرا من الوقت. فكان يتعطر ويكتحل ويصبغ شعره ويلبس خاتما نقش عليه " محمد رسول الله " وربما كان الغرض من هذا الخاتم هو توقيع الوثائق والرسائل. وكان صوته موسيقيا حلوا يأسر القلوب، وكان مرهف الحس إلي أقصي حد، لا يطيق الروائح الكريهة ولا صلصلة الأجراس والأصوات العالية، وكان قلقا عصبي المزاج، يرى أحيانا كاسف البال، ثم ينقلب فجأة مرحا كثير الحديث). ص ٤٥.

فهذا الأسلوب المسموم في التصوير إنما يريد أن يصور النبي (صلي الله عليه وسلم) في صورة المتصابي وفي صورة العصبي المزاج، المريض الأعصاب،

---

١ – ٢ – نقلا عن حصوننا مهددة من داخلها. د / محمد محمد حسين. ص ١٣٣، ١٣٤. طبعة مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م. وأنت ترى أسلوبا عجيبا يشعر به القارئ. فهو يورد الضعيف. بل والموضوع على أنه صحيح قطعي، ثم لتبرئة اليهود يورد الخبر الصحيح بصيغة تورث الشك والريب !! وكأنها ليست حقيقة. والحديث أخرجه الإمام البخاري في جامعه الصحيح كتاب المغازي باب الشاة التي سمت للنبي (صلي الله عليه وسلم) بخيبر، رقم ٣٩١٨. كما أخرجه الإمام أحمد في السند رقم ٩٤٥١، والدارمي في المقدمة رقم ٦٩. وفي رواية في البخاري، وغيره: أنه (صلي الله عليه وسلم) قال في مرضه الذي مات فيه " ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر. فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم " وقال في الفتح: رويت بأسانيد متعددة. وأنه (صلي الله عليه وسلم) صفح عن المرأة التي وضعت السم في الشاة. ومات من السم بشر بن البراء ٧ / ٤٩٧. فأين هذا من المنهج العلمي؟ وهذا كتاب يعد في الكتب المنصفة فما بالك بغيرها !!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصاب بالصرع. ويؤكد هذا الصهيوني الهدام تلك الصورة المفتراة بعد ذلك بقوله: (وقد أعانه نشاطه وصحته علي أداء واجبات الحب والحرب. ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره. وظن أن يهود خيبر قد دسوا السم في اللحم قبل عام ذلك الوقت..)[1]. وهكذا يلف الرجل لفا. ليصل إلي غرض يهودي. وبطريقة توحي بأنها علمية منهجية.

رابعا: تطبيق المفاهيم الغربية والنصرانية – وإسقاطها علي الإسلام.

ومن الأخطاء في دراسات المستشرقين للإسلام إسقاط المفاهيم والقيم الأوربية والنصرانية علي الإسلام ومحاكمته علي أساسها. وهم بذلك يتجاهلون أو يتعاملون عن طبيعة الإسلام وثقافة المسلمين، وخصائص وسمات الدعوة الإسلامية، ومصادرها، والتراث الفقهي، والفكري، والفلسفي الإسلامي.

بل ويتعامون عن البيئة الشرقية، وآثارها. ولا شك أن هذا يمثل رداءة في المنهج العلمي. إذ يحتم عليهم المنهج دراسة الإسلام كموضوع بحثي بحت مستقل. له مصادره ومراجعه المستقلة. دون إخضاعه للمفاهيم والقيم الغربية. ثم إن المفاهيم والنظريات الغربية متنوعة ومتعددة. وهذا بدوره عامل مساعد في عدم وجود مناهج ثابتة وواضحة. بل متغيرة ومتطورة، وقد يكون بعضها مناقضا للآخر.فكيف نسقط ذلك علي الإسلام !؟ إنه من أعجب العجب.

يقول د / محمد خليفة: الاستشراق نتاج البيئة الغربية وعرضة للتأثير بكل الاتجاهات الفكرية التي تظهر علي مسرح الفكر الغربي. والمستشرقون، رغم

---

١ – السابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تأثيرهم في الفكر الغربي يخضعون لما تنتجه البيئة الغربية من مذاهب واتجاهات فكرية ونظريات علمية.

ولهذا الوضع تأثيره علي المنهجية الاستشراقية فهي منهجية متغيرة لا تخضع لمبادئ ثابتة، كما أنها منهجية مختلطة بسبب تعدد الاتجاهات الفكرية والعلمية.[١].

ولذلك هناك عدة مناهج في دراسة المستشرقين للإسلام.

فمنهم من يخضع الإسلام للاتجاه الفلسفي العقلاني[٢]. ومنهم من يخضعه للاتجاه اللاهوتي الجدلي[٣]، ومنهم من يخضعه للاتجاه " النقدي التاريخي المتأثر بنظرية دارون "[٤] في التطور، والذي طبق علي الديانتين اليهودية والنصرانية، وعلي كتب العهد القديم والجديد، ونقله بعض المستشرقين – بداية من جولد تسيهر –

---

١ – أزمة الاستشراق ص ١٩٨.

٢ – وهو اتجاه لتمجيد العقل واعتماد أحكامه أصاب أم أخطأ . والمثالية علي شاكلة هذا الاتجاه فهي ترد كل شيئ إلي العقل.

٣ – يقصد به علم العقائد النصرانية لتتوافق مع العقل. فهو علم جدلي يقصد نصرة العقائد النصرانية بتأييدها بالأدلة الجدلية.

٤ – هو تشارلس روبرت دارون. بريطاني (١٨٠٩ – ١٨٨٢) م تتلخص فكرته في أن الكائنات الحية تسير في تطورها تترقي من أدني إلي أعلي. وأن الإنسان أعلاها ! وله كتابات في هذا ١– (أصل الأنواع). وقد أحدث ضجة كبرى في مقامه. و نشر هذا الكتاب سنة ١٨٥٩م. ٢– (أصل الإنسان). نشر سنة ١٨٧٤م. ومع أنها فرضية إلا أن دعاة الضلال والإلحاد طاروا بها !.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حرفيا لتطبيقه علي الإسلام وعلي القرآن الكريم، والحديث النبوي، والفقه الإسلامي[1].

والأدهى والأمر أن يطبق بعض المستشرقين هذا الاتجاه علي عقائد الإسلام؛ بمعني أنها تطورت من تعدد إلي توحيد. !! وتأثر بذلك بعض الكتاب المسلمين للأسف [2].

ونقطه أخرى مهمة في هذا المقام وهي: أن المستشرقين كتبوا عن الإسلام وكل ونمهم متأثرا بثقافته هو.

وكما ذكرت آنفا فالثقافة غائرة في النفوس تؤثر في الشعور و اللاشعور – فالألماني كتب بثقافته الألمانية – والفرنسي بثقافته الفرنسية.. وهكذا. ومن المهم تذكرنا، أن الثقافة النصرانية تفارق الثقافة الإسلامية في الأصول والفروع والأشكال والألوان وفي كل شيء.

مثال توضيحي:

وأذكر هنا مثلا يتعلق بعمل المستشرقين. ذلكم هو الدين النصراني. فمن مسلمات النصارى – لا شك بعد رفع عيسي عليه السلام بفترة – أن الدين شيء وأمور الحياة من سياسة واقتصاد وعلاقات الناس ببعضهم... الخ شيء آخر. والدين عندهم صلة بين الإنسان والإله. ومقر الدين الكنيسة، والإله عندهم في تصورهم ثالوث – آب وابن وروح القدس – !!.. الخ . كل هذا ثقافة غائرة في النفس هي كالعصب والدم الجاري في الجسم.

---

١ – أزمة الاستشراق ص ١٩٩.

٢ – ممن قال بذلك أ / عباس العقاد. رحمه الله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقرءون ذلك ويكتبونه ويدعون إليه ويعلمونه، ويفسرون النصوص الدالة عليه. ومن الأقوال المشهورة عندهم. ما نسبوه لعيسي عليه السلام. أنه أجاب سائلين خبثاء لإيقاعه في الملك بحيلة ما كرة حيث سألوه: أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا؟!.

فعلم يسوع خبثهم وقال: لماذا تجربونني يا مراءون. أروني معاملة الجزية. فقدموا له دينارا. فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة. قالوا له: لقيصر. فقال لهم: ((أعطوا إذا ما ليقصر لقيصر وما لله لله))[1].

وهذه إحدى ركائز ثقافتهم. ويقع الخطأ عندما يقيسون الإسلام بذلك. أو يسقطون ذلك عليه!. ومن ركائز ثقافتهم أيضا أن عيسي – عليه السلام – والذي يدعونه يسوع – ذو طبيعة إلهية وإنسانية. وهذه عقيدتهم فيه !!.

ومن الخطأ أيضا عند المستشرقين أن هكذا ينبغي أن يكون محمد (صلي الله عليه وسلم). وهذا من أعجب العجب.

يقول د / محمود زقزوق عن المستشرق الألماني: " أوجست موللر " أنه ((يعيب علي – النبي – محمد – " صلي الله عليه وسلم " أنه لم يدرك إلا جانبا واحدا فقط من الطبيعة الإلهية، وأنه ينقصه تماما مفهوم القداسة بوجه خاص، وبذلك ينقصه الأساس لتشكيل عميق بطريقة ما لفكرة نظام أخلاقي للحياة، ثم يصدمنا لدى محمد " صلي الله عليه وسلم" في المدينة علي وجه الخصوص أنه قد حول الدين إلي السياسة في تزايد مستمر...))[2].

---

١ – متي ٢٢، ١٧ – ٢١. ومرقس ١٢، ١٥ – ١٧.

٢ – انظر الإسلام في تصورات الغرب ص ١٦٨. طبعة مكتبة وهبة – القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وما العيب؟ وما النقص؟ لا تدري ولا تراه إلا في أعين هؤلاء النفر الذين يطبقون مفردات ثقافتهم علي الإسلام كدين. وعلي محمد كنبي ورسول(صلي الله عليه وسلم) وهذا من أعجب العجب!!.

إنهم يصورون الأحداث والأشخاص " حسب منطقهم الغربي وخيالهم العصري " [1]. وهذا شاهد عدل خبر دراستهم وهو العلامة الشيخ "عبد الحليم محمود" يقول عن المستشرق الفرنسي " لا مانس " [2]. إنه يحدثنا عن مكة والمدينة في عهد الرسول (صلي الله عليه وسلم) فيعطينا صورة أوربية حديثة، وكأنه يحدثنا عن باريس ولندن حينما يتحدث عن جزيرة العرب عن الحملة الصحافية، عن الماليين في بنك مكة، مليار النقابة القرشية، الضريبة علي الدخل، طبقة العمال، إبلاغ الرسالة إلي محل الإقامة، ديوان ذي الجلال، وزارة الله... إلي آخر هذه التعبيرات التي تفسد الصورة ولا تصور الحقيقة[3].

وأذكر ختاما قول أحد المستشرقين عن هذه الحقيقة التي تمثل اعترافا منه بأن المستشرقين يكتبون عن الإسلام من خلال عقائدهم الدينية.

---

١ - من كلام ايتين دينيه. الذي أسلم وتسمي ناصر الدين. (١٨٦١ - ١٩٢٩ م) فرنسي وتعلم في بلده أسلم سنة ١٩٢٧ م. من آثاره " أشعة خاصة بنور الإسلام " و " الشرق في نظر الغرب " و " حياة العرب " و " الحج إلي البيت الحرام " وغيرها.

٢ - هو هنري لامانس البلجيكي المولد، فرنسي الجنسية، لبناني الإقامة. (١٨٦٢ - ١٩٣٧م) درس في الجامعة اليسوعية ببيروت له دراسات في التاريخ الإسلامي. وعقائد الإسلام ونظمه. ولا تخلو من تهجم.

٣ - انظر أوروبا والإسلام ص ١٣٦. ط دار المعارف مصر. ط ٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول سميث – المستشرق الكهنوتي: " إن من أسباب تباعد المسلمين والمسيحيين عن بعضهم أن كلا الفريقين قد أساء فهم عقيدة الآخر بمحاولته أن يضعها خلال طراز الاعتقاد الذي يؤمن به ".

يقول الدكتور / طيباوي معلقا: " وشأن كثير من التعميمات لا يبدو مثل هذا النص منصفا كما يحاول أن يكون. فإن المسيحيين وحدهم هم الذين ظلوا طوال القرون يحاولون فهم الإسلام – أو إساءة فهمه من خلال اصطلاحات المسيحية. أما النظرة الأساسية للمسلم فقد ظلت علي حالها لم تتغير علي الدوام لأنها جزء من الوحي الإلهي في القرآن ولم يحاول مسلم أن يدخل المسيحية في إطار آخر "[1].

والإنصاف القول: أن جماعات المستشرقين الغربيين عبر الزمان منذ نشأتهم وإلي اليوم يخضعون الإسلام عقيدة وشريعة للعقائد النصرانية، وما طرأ عليا من تطور، كما يخضعونه لثقافاتهم.

وهذا خلل في البحث والمنهج لا يقبله من كانت لديه مسكة من عقل أو خلق.

وكما يقول الأستاذ مالك بن نبي – رحمه الله –: " وتلك بكل أسف – هي العادة الغالبة علي بعض الدراسات، كما فعل العلامة الشهير جينيو بيرت، فإنه بعد أن درس العناصر التي تسمى (تطور العقيدة) اليهودية و المسيحية، طبق نتائجها بطريقة غير متوقعة علي تطور العقيدة الإسلامية كأنما كانت موضع دراسته " [2].

---

١ – المستشرقون الناطقون بالإنكليزية. د / عبد اللطيف طيباوى. ملحق بكتاب الفكر الإسلامي الحديث. ص ٤٩٢، ٤٩٣.

٢ – انظر الظاهرة القرآنية. ص ٢٤٤. ترجمة د / عبد الصبور شاهين. ط الاتحاد الإسلامي العالمي ١٣٩٨ هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكذا يتضح بجلاء تأثير ثقافتهم ومعارفهم ومفاهيمهم الغربية والنصرانية في الكتابة عن الإسلام.

خامسا: عدم الرجوع إلي المصادر الإسلامية الرئيسية والأصيلة.

من أخطر أنواع الخيانة وأفحشها في البحث العلمي. الكتابة عن موضوع البحث من غير مصادره الأصلية الرئيسية.

وفعل كثير من المستشرقين هذا عن عمد. وذلك بغرض تشويه الإسلام. فأنت تري العجب في كتاباتهم. فالأكثر منهم يكتب عن الإسلام آخذا عن ترجمات قديمة للقرآن الكريم، وما كتب عليها من تعليقات كنسية. كتلك التي كتبت سنة ١١٤٣م وكلها أغاليط، وأما التعليقات عليها. فأهمها – أو قل أسوأها- ما يعرف " بمجموعة طليطلة " أو " مجموعة ديركلوني ".

وهي عبارة عن الترجمة، والخلاصة المسماة بـ " هرطقات الإسلام " والرد علي هذه الهرطقات والتفنيد لها. والذي أسهم فيها بدور كبير – بطرس المحترم – كما مر آنفا، ويرجع معظم المستشرقين لكتب استشراقية غلبت عليها مهنة التنصير. ككتاب " ميزان الحق " للمنصر المستشرق د / فندر.

كما قال الشيخ عبد الرحمن الجزيري: " نظرت في كتب المبشرين – المنصرين – القديمة والحديثة. فوجدت أنها ترجع في معظمها. إلي كتابين: أحدهما كتاب " ميزان الحق " وهو كتاب قديم ألفه قسيس يقال له الدكتور / فندر، ولعل هذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكتاب هو الينبوع الذي منه يستقي المبشرون مطاعنهم في الإسلام. وثانيهما: كتاب " تذييل مقال في الإسلام " وضعه قسيس مجهول سمي نفسه هاشما العربي[1].

ومن هذه الكتب التي يكتب منها المستشرقون أيضا كتاب " مقالة الإسلام " وغيره.

يقول د/ محمد خليفة حسن متحدثا عن هذا العيب المنهجي وأثره: ومن الأمور الواضحة في الدراسات الاستشراقية عن الإسلام تكوينها لإسلام استشراقي (إن صح التعبير) فقد تكون تراث استشراقي ضخم عن الإسلام أدي بالمستشرقين إلي الاستغناء عن المصادر الإسلامية استغناء تاما والاعتماد علي الفهم الاستشراقي للإسلام.

ولعل نظرة فاحصة إلي مصادر المستشرق تشير إلي ندرة العودة إلي المصادر الإسلامية وسيادة المصادر الاستشراقية.

وخطورة هذا الأسلوب في الكتابة الاستشراقية تكمن في تكوين رؤية استشراقية معتمدة وموثق فيها لدى المستشرقين بحيث تغني تماما عن الرؤية الإسلامية، كما تغني عن المصادر الإسلامية. وهذا يجعل من الكتابة الاستشراقية عن الإسلام كتابة خارجية لا تدرس الإسلام من الداخل، ويسود فيها المصطلح الاستشراقي بدلا من المصطلح الإسلامي كما يغلب عليها الفهم الاستشراقي لا الفهم الإسلامي..."[2].

---

١ - أدلة اليقين. الشيخ عبد الرحمن الجزيري. ص٨. مطبعة الإرشاد القاهرة ط الأولي سنة١٣٥٣هـ سنة ١٩٣٤م.

٢ - انظر أزمة الاستشراق ص ٢٤٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا أعجب من صنيعهم المسمي بالمنهج العلمي المزعوم. والذي يتخبطون فيه. حيث تراهم ينقلون من كتب التاريخ ما يستدلون به في الفقه !! ومن كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبوي الشريف، ويعتمدون ما جاء في كتاب الأغاني، ويضعفون ما جاء في الصحاح !!.

ويصححون ما جاء من الأحاديث في كتب التراجم واللغة، ويردون ما جاء في المجامع والمسانيد والسنن. وهكذا.

إن غياب الأمانة العلمية في استخدام المصادر إخلال كبير بأخلاقيات البحث العلمي " إذ يعمد المستشرقون إلي الابتعاد عن المصادر الأولية الصحيحة المعبرة عن الرؤية الإسلامية الصحيحة واللجوء إلى المصادر الثانوية غير المتخصصة مثل مصادر الفرق الدينية والمذاهب المعارضة والتصوف ومصادر التشيع. هذا فضلا عن الاعتماد علي المصادر الاستشراقية بما تحتويه من أكاذيب ومغالطات وافتراءات وخروج علي أخلاقيات البحث العلمي، وتطويع المادة العلمية للمتطور الاستشراقي[1].

ويؤكد باحث آخر هذه النقيصة في المستشرقين. وهو د / حسين ضياء الدين عتر بقوله: " إنهم يعولون في توا ليفهم علي مصادر ليست في مستوي البحث العلمي، إنما هي كتب تندر وتفكه أو تذوق أدبي مثل كتاب الأغاني – لأبي الفرج الأصفهاني، أو كتاب الحيوان– للدميري،... وربما يكون مؤلف هذا النوع من الكتب مبتدعا[2] تحمله بدعته علي الطعن في أئمة الإسلام فيفترض المستشرقون –

---

١ – انظر أزمة الاستشراق المعاصر. ص ٣٩٧، ٣٩٨.

٢– وبالتأكيد كان كذلك أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب " الأغاني " قال الإمام الذهبي:هو علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني الأموي، شيعي. وهذا نادر في أموي كان إليه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صحة – كلامه ويتخذونه عمدة في أبحاثهم وحجة دون دليل علي أن آراءهم مصيبة في البحث العلمي "[1].

ولا يلتفتون إلي كون هذه الكتب صحيحة النسبة إلي أصحابها أم أنها مدسوسة للإساءة للإسلام وأهله؟

وتعجب أحيانا لما تجدهم يكثرون من النقل من الكتب المليئة بالإسرائيليات والغرائب والخرافات. المهم أن يجدوا ما يخدم أهدافهم ولو كان خيانة كبرى للعلم!.

يقول د / محمود زقزوق: إن الكثير من الأوربيين الذين يتعرضون للكتابة عن الإسلام هم – في أغلب الأحيان – صادقون وكاذبون في الوقت نفسه !!: صادقون لأنهم يعتمدون في الغالب علي مؤلفات أخرجتها المطابع في العالم الإسلامي، وكتب كتبها مؤلفون ينتسبون إلي الإسلام علي مر القرون.

وكاذبون لأنهم يتحررون هنا من الأمانة العلمية فليس كل ما كتب عن الإسلام هو الإسلام حتى وإن كان صادرا عمن ينتمون إلي الإسلام. والأوربيون المهتمون بالدراسات الإسلامية يعرفون قبل غيرهم أن ما بين أيديهم من مراجع

=المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس والشعر والغناء والمحاضرات يأتي بأعاجيب بحدثنا وأخبرنا وقد قال أبو الفتح بن أبي الفوارس: خلط قبل موته. و قال الخطيب حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طباطبا العلوي سمعت أبا محمد الحسن بن الحسين بن النوبختي كان يقول: كان أبو الفرج الأصبهاني أكذب الناس كان يشتري شيئا كثيرا من الصحف ثم تكون رواياته كلها منه !! انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٥ /١٥١، ط / العلمية / بيروت، ط/ الأولى سنة ١٩٩٥م، تحقيق الشيخ / علي معوض، و زميله.

١ – السابق ص ٣٩٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مختلفة عن الإسلام فيه الغث وفيه السمين، وأن الإسلام لا يتحمل وزر هذه المراجع التي يمتلئ الكثير منها بالخرافات والأوهام ويزخر بالإسرائيليات..."[1].

من جرائم المستشرقين في هذا الجانب

لا تظن أنهم يفعلون ذلك لأنهم لا يجدون، أو لا يعرفون المصادر الأصيلة الرئيسية الصحيحة. كلا. إنهم يعرفونها جيدا – غالبا – لكنه الحقد و اتباع الهوى.

ومن أكبر جرائمهم في ذلك: إيهامهم للقارئ أنهم ينقلون من المصادر الإسلامية المعتمدة، وذلك واقع – إلا أنهم يعمدون إلي النص فيقطعونه، ولا يكملون العبارة، ولا يذكرون الحكم بملابساته... وهكذا. فهم قوم أرباب تحريف.

والأمثلة كثيرة، وقد سبق لك شيء من ذلك عند الحديث عن "وول ديورانت" في قصة الحضارة، وأذكر هنا مثالا بارزا هو " لا مانس " اليسوعي فهو مثال بارز علي سوء استخدام المصادر وتطويع مادتها لرؤيتهم الحاقدة علي الإسلام. فهو يشوه النصوص، ويحملها ما لا تطيق، ويقتنص منها نتفا يستغلها استغلالا لا ينطبق مع منطق علمي أو أمانة في النقل علي طريقة "لا تقربوا الصلاة " دون "وأنتم سكارى" ويسخر النصوص للبرهنة علي أحكامه المسبقة ولو اضطره ذلك إلي تشويه النصوص الأصلية أو الافتراء عليها[2].

ويحتج بالضعيف الشديد ويرد الصحيح والحسن كما يضرب لنا د / نبيه عاقل أنموذجا لذلك فيقول: ومن العجيب أن لا منس الذي نراه يصوب سهاما جارحة

---

١ – الإسلام في الفكر الغربي د / محمود زقزوق. ص ٥٦. ط دار القلم – الكويت ط ٢ سنة ١٤٠١ هـ، سنة ١٩٨١ م.

٢ – انظر أزمة الاستشراق المعاصر. ص ٣٩٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من النقد والتجريح إلي كل حديث أو خبر يرفع من مكانة علي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم، يقبل أكثر الأحاديث والأخبار ضعفا من حيث المتن والسند لمجرد أنها تطعن في فاطمة وزوجها وأولادها [1].

ويدلك كلام للمستشرق هارديان ريلاند – علي أن المستشرقين لا يلتزمون الرجوع إلي مصادر المسلمين الأصيلة الصحيحة، ويفضلون الخداع والغش علي معرفة الحقيقة.

وهذه شهادته التي سجلها وهو يصف – ناقدا – الدراسات الغربية عن الإسلام.

يقول: " لندع المسلمين أنفسهم يصفون لنا ديانتهم. ألا نرى أن التعاليم اليهودية والمسيحية قد شوهت من قبل الوثنيين، والبروتستانتية من قبل الكاثوليك، إنه لا يمكن معرفة حقيقة أي ديانة بالاستناد إلي أقوال خصومها. إننا جميعا بشر. أي كائنات معرضة للخطأ. ثم كيف يجوز أن نحاول مجادلة المسلمين دون أن نعرف عقائدهم معرفة جيدة؟

فالحقيقة يجب البحث عنها مهما كانت المصاعب، لذلك أريد في كتابي هذا وصف الديانة المحمدية – علي حد تعبيره – ليس كما يبدو لنا من خلال ضباب الجهل وخبث البشر، بل كما تدرس حقا في مدارس المسلمين ومعابدهم، وإذا أراد الناس رغم كل ما قلته أن يتمسكوا بالخرافات السخيفة فذلك شأنهم. إن تجارب الحياة تبرهن لنا كل يوم علي أن الناس ينقادون بسهولة إلي الأحكام السابقة المتوارثة، وأنهم يفضلون الخداع والغش علي معرفة الحقيقة[2].

---

١ – انظر السابق.

٢ – ينظر أزمة الاستشراق ص ٣٩٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا يمكن أن يتصور تدخل الخيال – الواسع أحيانا لدى المستشرقين – في مجال البحث العلمي. ولكن هذا لا ينقض ولا ينغص المنهجية عند المستشرقين !!. فإنك تجد خيالهم ضاربا في حديثهم عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم). وعن الإسلام.

وأنقل لك هنا علي مضض مني مقولة لأحد المستشرقين ذوي الصيت في العالم العربي والإسلامي وهو المستشرق " كارل بروكلمان " [1] يقول:

(فكان يضج في أعماق نفسه – أي النبي " صلي الله عليه وسلم " هذا السؤال: إلي متى يمدهم الله في ضلالهم، – يعني العرب – ما دام هو عز وجل قد تجلي آخر الأمر للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه !!؟، وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلي أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة، ولكن حياءه الفطري حال بينه وبين إعلان نبوته فترة قصيرة، ولم تتبدد شكوكه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات الخارقة في غار حراء. ذلك أن طائفا تجلي له هناك هو الملك جبريل، علي ما تمثله محمد فيما بعد)[2].

---

١ – مستشرق ألماني (١٨٦٨ – ١٩٥٦ م) عمل أستاذا للغة العربية في عدد من جامعات ألمانيا .أهم أعماله. كتابه " تاريخ الأدب العربي " وكتابه " تاريخ الشعوب الإسلامية ".

٢ – ج١ ص ٣٩، ٤٠ من كتابه " تاريخ الشعوب الإسلامية " نقلا عن المستشرقون والدراسات الإسلامية ص ٦٢، ٦٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان بودنا أن يذكر بروكلمان مصدرا استند إليه ولو مقولة لأحد أعداء محمد " صلي الله عليه وسلم " الذين وصفوه هم بالصادق الأمين، وشهدوا له " ما جربنا عليك كذبا قط "[1].

ولكن خيال بروكلمان يسرح ليفسر لنا حقيقة الوحي بأنها إعمال نفسي نتج عن مشاكل الواقع العقدي لبيئة النبي- صلي الله عليه وسلم - وهذه التطلعات النفسية هي التي ظنها النبي " صلي الله عليه وسلم " وحيا !! كبرت كلمة تخرج من فيه وأفواه أمثاله.

إن المنهج العلمي يحتم علينا إلقاء هذه ا لمؤلفات وما شابهها إلي عصور الظلام الأوربية الوسطي التي كانت - وللأسف ما زالت - تحمل هذه الروح النكدة ضد الإسلام ونبيه " صلي الله عليه وسلم " والمسلمين.

سادسا: الكتابة عن الإسلام من واقع المسلمين.

من الأخطاء التي تظهر في كتابات المستشرقين عن الإسلام. استدلالهم علي أمر ما يريدون إثباته بواقع بعض المسلمين، سواء أكانوا من العوام، أم من فرق خارجة، بعيدة عن ما عليه جمهور المسلمين. أم من غيرهم.

---

١ - دعاهم " صلي الله عليه وسلم " وسألهم " لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونني؟ قالوا: نعم... " ما جربنا عليك كذبا قط ".. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ٢٠٠. واستنطقها إياهم الوليد بن عقبة لما عابو عليه مدح القرآن. قال: " فهل جربتم عليه كذبا قط " قالوا: لا والله. والحديث المتفق عليه من سؤال هرقل لأبي سفيان وإجابته: كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قاله؟ قلت: لا ". البخاري كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي الناس إلي الإسلام. حديث رقم ٢٧٢٣، ومسلم كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي إلي هرقل. رقم ٣٣٢٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسواء أكان هذا الواقع نتيجة لتقصير المسلمين، أم أثرا من آثار الحملات العسكرية الغربية، أو حملات التغريب، أم واقعا تفرضه مخططات الغرب.

ومن العجب أن تجد هؤلاء المستشرقين يعتذرون عن ذلك بما هو أقبح، وما هو بعيد كل البعد عن المنهج العلمي والموضوعي.

فهذا " جيلبرت دونوجنت " يعترف بأنه لا توجد لديه مصادر مكتوبة عن الإسلام، وإنما يعتمد علي آراء العامة، وأنه لا يوجد لديه أي وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب. ثم يسوغ هذه النقائص بقوله (لا جناح علي الإنسان إذا ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء يمكن أن يتصوره المرء)[1].

وإذا كان هذا المذكور من رجال القرون الوسطي فإنها نقيصة ما زالت تطوح لك حتى الآن في كتابات الغربيين عن الإسلام.

فهذا كتاب " عقائد الإسلام " للمستشرق " هرمان استيجل أكر " وقد صدر سنة ١٩٦٢م.

وتقرأ في مقدمة الكتاب ما يجعلك تجزم أنه سيكون منهجيا. ولكن للأسف سرعان ما يغلب الطبع. فهو يقول: (إنه لمن المفهوم أن عامة الشعب المسلم واقعة تحت تأثير التصور الجبري)[2].

---

١ - انظر تراث الإسلام ١ / ٣٧ – ٣٨، وحضارة الإسلام ص ٦٩ نقلا عن " الاستشراق بين الحقيقة والتضليل. د / اسماعيل علي ص ٢٢، ٢٣. ط ونشر دار الكلمة – المنصورة – سنة ١٩٩٨م.

٢ – ص ٩٩ نقلا عن " الإسلام في الفكر الغربي " د / محمود زقزوق. ص ٣٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن المؤلف يعترف قبل ذلك بصفحتين من كتابه بأن القرآن لا يدعو للاتجاه الجبري فهو يقول: (كما أن المواضع – أي القرآنية – التي تظهر أنها تتحدث ضد حرية الإرادة لا يلزم بالضرورة أن تفسر تفسيرا جبريا خصوصا إذا فهمناها مع المواضع الأخرى التي تؤكد حرية الإرادة)[1].

ويتساءل د / محمود زقزوق: هل يعرض المؤلف رأي الإسلام من واقع ما عليه المسلمون أم من واقع مصادر الإسلام الأصلية؟

إنه إذا كانت الأولي فقد أخطأه التوفيق، ذلك لأن الإسلام من حيث هو إسلام غير مسئول إطلاقا عن أية أفهام تنحرف بتعاليمه، حتى ولو كان هؤلاء المنحرفون يمثلون الأغلبية، فذلك لم يكن أبدا مقياسا للحقيقة ولن يكون...

يقول الشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله تعالى – أثناء حديثه عن نظام الحكم الإسلامي – مبينا فساد هذا المنهج الذي سلكه المستشرقون ونتائجه: (و إن قوما من الأوربيين الذين يدرسون الإسلام لا يأخذون الإسلام من مبادئه المقررة الثابتة، إنما يأخذونه من أحوال المسلمين الواقعة، ومن أخيلة يتخيلونها، ومن أقوال بعض الفرق التي ترفع الأئمة إلى مراتب قدسية، ويبنون على ذلك أن المسلمين يقدسون ملوكهم، وأن الإسلام لم يأت بنظام للحكم صالح، ولم يضع أسسا سليمة يمكن أن يقوم عليها حكم صالح وهم في كل ذلك مخطئون قد أخطئوا في الطريق إلى الحق؛ وأخطئوا بالتالي في النتائج التي وصلوا إليها، ولم يحاولوا أن يتعرفوا

---

١ – ص ٩٧ وما بعدها نقلا عن السابق ص ٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوجهة الحق ليسلكوها، ولا نفرض فيهم إلا أنهم ساروا في الطريق الذي أخطئوا في اختياره إلى أقصى مداه متنكبين طريق الصواب خطأ ابتداء وعمدا انتهاء)[1].

ونود هنا أن نلفت نظر كل مستشرق يريد أن يدرس الإسلام بموضوعية وتجرد إلي وجوب التفرقة الحاسمة بين ما يدور في أذهان عامة المسلمين من تصورات وبين ما يشتمل عليه القرآن الكريم والسنة الصحيحة من مبادئ و تعاليم. فالخلط في هذا الصدد يجر إلى أخطاء فوق أخطاء، فضلا عن أنه ليس من الأمانة العلمية في شيء[2].

وكان من نتيجة هذه النقيصة أن يخلط المستشرق خلطا عجيبا غريبا يخرجه من دائرة العلم والبحث إلى دوائر أخرى، فتراه متخبطا – وهو الذي زعم الإنصاف والموضوعية في بحثه الذي استغرق ثلاثين عاما بتمويل الكنيسة – فيقول: في رأي المسلمين العصريين يعد كل من زرادشت وكونفشيوس أنبياء قاموا بعملهم بتكليف من الله)[3] !! وهل تقرأ أعجب من هذا.

ولو صح ما قاله فعليه وعلي أمثاله أن يعلموا أن الإسلام شيء، وما يفعله، أو يقوله، أو يدعيه بعض المنتسبين إلي الإسلام شيء آخر. وعليهم أن يعرفوا – إن لم يكونوا – أن حال المسلمين وواقعهم ليس مصدرا من مصادر الإسلام.

ونسأله هل ما قام به النصارى من حروب تطهير عرقية في البوسنة، وما يقومون به في العراق، ومن قبل أفغانستان، ومن قبل احتلال البلاد، ومن قبل إلقاء

---

١ – انظر المجتمع الإنساني في ظل الإسلام للشيخ / محمد أبو زهرة ص ١٧٨ ط دار الفكر العربي بدون تاريخ.

٢ – انظر الإسلام في تصورات الغرب ص ٣٠، ٣٢.

٣ – ص ١٨٣. نقلا عن السابق. ص ٣٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القنابل النووية في نجازاكي وهيروشيما... الخ هل هو ما دعت إليه الأناجيل؟ وهل هذه مبادئ القوم؟ فليجب.

ثم إن كتابة المستشرقين عن الإسلام من واقع حال المسلمين جعلهم ينظرون إلي الإسلام علي أنه ليس إسلاما واحدا. بل هناك أكثر من إسلام!!.

(فهناك إسلام مصري، وهندي وباكستاني، وسعودي وإيراني... الخ وهناك إسلام سني وشيعي، وصوفي، وإسلام قديم، ووسيط، وحديث، ومعاصر)[1].

وظهرت مسميات جديدة – وللأسف يرددها بعض الباحثين المسلمين، وذلك مثل مصطلح " الإسلام السياسي، وإسلام رسمي، وإسلامي شعبي إلي آخر هذه التقسيمات التي تسعي جاهدة إلي أثبات تنوع الإسلام، وعدم وحدته بين المسلمين واختلافه من بلد إلي بلد، ومن عصر إلي عصر، ومن مذهب إلي مذهب، ومعني هذا كله في النهاية أنه لا يوجد إسلام واحد له جوهر واحد وإنما هناك عدة أشكال للإسلام لكل منها جوهره الخاص [2].

سابعا: صناعة الشبهات.

ويقصد بالشبهة تشويه الإسلام. وهذا في الحقيقة هدف لم يغب عن الدراسات الاستشراقية قديما وحديثا حتى يومنا هذا إلا ما ندر.

---

١ – كتب ذلك مونتجمرى وات. نقلا عن أزمة الاستشراق. ص ٢٤٨.

٢ – السابق. وهكذا كانت عناوين أبحاثهم " الإسلام الحديث – مودرن إسلام " لجرونيباوم وللأسف أن يقلدهم بعض الباحثين العرب والمسلمين فنسمع الإسلام السياسي، والإسلام الشعبي... الخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومصطلح الشبهة يؤدي معني صحيحا عن كتابات المستشرقين حول الإسلام. فهي تعني الإبهام والالتباس والاختلاط، والتلبيس والتخليط، يقال شبه عليه الأمر. أبهمه عليه حتى اشتبه بغيره، ويقال: شبه عليه، وله ألبس. واشتبه الأمر عليه، وأصبح في شك من صحة الشيء [1].

والاستشراق يسعى لذلك بكل ما أوتي من قوة فهو يريد أن تحتل الشبهة مكان الحقيقة، ويريد أن تكون هي الأصل في القضية المعروضة محل الدراسة، ولذلك لا تجد إلا تشكيكا وتلبيسا حتى في الثوابت والقواطع المتواترة، والمسلمات العقلية. التي لا يمكن لعاقل أن يقنع بسواها إلا في لحظة يختل فيها عقله، ويغيب رشده، ويقبر وعيه، أو لحظة تزيين للباطل وإلباسه ثوب الحق. لغرض كتم هذا الحق وتضييعه. وهذه طبيعة أهل الكتاب التي أخبر عنها القرآن الكريم، فقد خاطبهم الله تعالي ناهيا لهم عن ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء. بقوله :((ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون))[2].

قال الإمام البيضاوي: واللبس الخلط، وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعني لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتمونه حتى لا يميز بينهما، أو: لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتمونه في خلاله أو تذكرونه في تأويله. " وتكتموا الحق" داخل تحت حكم النهي. كأنهم أمروا بالإيمان وترك الضلال ونهوا عن الإضلال بالتلبيس علي من سمع الحق والإخفاء علي من لم يسمعه[3].

---

١ - انظر المعجم الوسيط. مادة شبه. ولسان العرب، والصحاح في اللغة للجوهري.

٢ - البقرة آية (٤٢).

٣ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل. للبيضاوي ص ٨. ط المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٥هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا منطبق علي دراسات المستشرقين عن الإسلام حتى اليوم، ولتحقيق هذه الأغراض السابق ذكرها.

والمستشرقون يكررون الشبهة الواحدة بأساليب مختلفة ومتفاوتة، وبطرق ملتوية، و بما يثير الشك والريب، وترى الموضوع محاطا بالغموض وعدم الوضوح.

حتى أصبح ذلك سمة من سمات الدراسات الاستشراقية عن الإسلام ومصادره.

و ((ليس من المغالاة أن نصف الاستشراق في حقل الدراسات الإسلامية بأنه علم صناعة الشبهات))[1].

وذلك وصف حقيق بالاستشراق الذي ظل علي ذلك من بدايته إلي يومنا هذا وإن اختلفت الأساليب، أو تنوعت وسائل العرض، فهو يختلف في الصياغة والتركيب.

وإذا كان الجهل عذرا. فإن المستشرقين لا يعذرون. وذلك لأنهم بإمكانهم أن يصلوا إلي حقيقة الأمر. إذا ما تخلقوا بأخلاق البحث العلمي، وتجردوا من موروثاتهم الكنسية واللاهوتية الحاسدة الحاقدة. فالحق أن هذه الشبهات إنما تنبئ عن صدور مكتظة بالحقد والحسد ولا أري تسويغا لهذه الصناعة النكدة إلا ذلك.

يقول الأستاذ ليوبولد فايس – محمد أسد بعد إسلامه – في كتابه " الإسلام علي مفترق الطرق " وهو مثقف أوروبي خبر موقف الثقافة الغربية ومثقفيها من الإسلام، يقول عن هذا الموقف: (موقف الأوربي تجاه الإسلام موقف كره عميق

---

١ – انظر أزمة الاستشراق – ص ٣٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا منطبق علي دراسات المستشرقين عن الإسلام حتى اليوم، ولتحقيق هذه الأغراض السابق ذكرها.

والمستشرقون يكررون الشبهة الواحدة بأساليب مختلفة ومتفاوتة، وبطرق ملتوية، و بما يثير الشك والريب، وترى الموضوع محاطا بالغموض وعدم الوضوح.

حتى أصبح ذلك سمة من سمات الدراسات الاستشراقية عن الإسلام ومصادره.

و ((ليس من المغالاة أن نصف الاستشراق في حقل الدراسات الإسلامية بأنه علم صناعة الشبهات))[1].

وذلك وصف حقيق بالاستشراق الذي ظل علي ذلك من بدايته إلي يومنا هذا وإن اختلفت الأساليب، أو تنوعت وسائل العرض، فهو يختلف في الصياغة والتركيب.

وإذا كان الجهل عذرا. فإن المستشرقين لا يعذرون. وذلك لأنهم بإمكانهم أن يصلوا إلي حقيقة الأمر. إذا ما تخلقوا بأخلاق البحث العلمي، وتجردوا من موروثاتهم الكنسية واللاهوتية الحاسدة الحاقدة. فالحق أن هذه الشبهات إنما تنبئ عن صدور مكتظة بالحقد والحسد ولا أري تسويغا لهذه الصناعة النكدة إلا ذلك.

يقول الأستاذ ليوبولد فايس – محمد أسد بعد إسلامه – في كتابه " الإسلام علي مفترق الطرق " وهو مثقف أوروبي خبر موقف الثقافة الغربية ومثقفيها من الإسلام، يقول عن هذا الموقف: (موقف الأوربي تجاه الإسلام موقف كره عميق

---

١ – انظر أزمة الاستشراق – ص ٣٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجذور يقوم في الأكثر علي صدور التعصب الشديد، وهذا الكره ليس عقليا فحسب، ولكنه يصطبغ بصبغة عاطفية قوية...) [1].

وليس هذا الحقد خاصا ببلد أوربي دون بلد. بل هو داء يملأ قلوب كل الغربيين، فهؤلاء أبناء فرنسا يعميهم حقدهم الموروث المتجدد والملتهب عن الحقائق، والفضائل الإنسانية.

فهذا " جاستون قييت " الفرنسي – يسود كتابه – بقبائح هذا الحقد، ويطفح بذاك الحسد. يقول عنه د / حسين مؤنس في دراسة نشرها في جريدة الأهرام القاهرية في ملحقها الأدبي: المؤلف هنا فرنسي، والفرنسي، مهما بلغ علمه، ومهما قيل عن تجرده لا يمكن أن ترضي نفسه بإنصاف العرب والمسلمين بحال... هناك ستار من الحقد عند أصحابنا أبناء فرنسا يحول بيننا وبين أن يفهمونا. حقد قديم يرجع إلي الحروب الصليبية، والفرنسيون يعتقدون أنها كانت حربا بين فرنسا والإسلام...

وحقد جديد بدأ سنة ١٨٣٠م – عندما اعتدى الفرنسيون علي الجزائر، حقد علي عرب المغرب، لأنهم لم يستسلموا لفرنسا ويقدموا بلادهم هدية لها. !

وحقد علي عرب الشرق لأنهم لم يتركوا إخوانهم لها تفعل بهم ما تريد... حقد يفسد كل ما يكتبه الفرنسيون عنا...[2].

---

١ – الإسلام علي مفترق الطرق – محمد أسد – ص ٥٢ ترجمة د / عمر فروخ. ط دار العلم للملايين. بيروت ط ٨ سنة ١٩٧٤م.

٢ – انظر الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. ص ٤٦١، ٤٦٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فإن نزوع المستشرقين إلي الشبهات " لا يعبر فقط عن التماس الشبهات التقليدية التي أثيرت حول الإسلام قديما، فقد تجاوز الاستشراق الشبهات التقليدية إلي بناء شبهاته الخاصة به معتمدا في بعض الأحيان علي نفس أسباب ظهور الشبهات القديمة، ومضيفا إلي ذلك منهجيته الخاصة في خلق الشبهات وبنائها ومن عناصر تلك المنهجية بناء النتائج علي المقدمات أو الأدلة الخاطئة "[1].

ولا يقف المستشرق عند ذلك بل إنه يستدل بما يظنه حديثا، وهو ليس كذلك.! وأيضا أحيانا تكون المقدمات صحيحة ولكنها لتحقيق غرض الشبهة يجعلونها تنتج نتيجة خاطئة !!.

أمثلة لهذه الصناعة المتهاوية:

من نماذج التلفيق ما فعله المستشرق جولد تسهير والذي يوصف بأنه أوسع المستشرقين معرفة بالإسلام وعقائده! في كتابه المسمى "العقيدة والشريعة" [2].

وكذلك ما كتبه المستشرق اليسوعي "هنري لا منس" في جل كتاباته خاصة كتابه "الإسلام عقائد ونظم" والذي تدني إلي نهاية التخبط لّما دون رأيه حول مصادر السيرة النبوية معتبرا أن القرآن – الكريم – هو المصدر الأوحد لها، وذلك لأنه –

---

١ – انظر الشبهات المثارة حول الإسلام وموقف المسلم تجاهها. مقال د / محمد أبو الفتح البيانوني. مجلة دراسات استشراقية وحضارية العدد الأول سنة ١٤١٣ هـ ص ٦٣.

٢ – ترجمة د / محمد يوسف موسي. ورد عليه الشيخ محمد الغزالي. واسم الكتاب الحقيقي " محاضرات في الإسلام ".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علي زعمه – لا تصلح السنة النبوية المشرفة لأن تكون مصدرا. لأنها موضوعة مكذوبة لا ثقة فيها !! متغافلا – عن عمد – مناهج المسلمين – والتي لم يسبقوا إليها – في تدوين السنة المشرفة، وما اشترطه المسلمون في الرواية مما هو معلوم في علوم الحديث !!.

ونموذج آخر هو المستشرق اليهودي باتاى. أثناء تحليله للعقلية العربية يصف الإنسان العربي – أي المسلم – بأنه إنسان يخلط بين الواقع والمثال ويتعلق بالأماني ويبتعد عن الواقع، وكإنسان متوحش ومخرب وجبان ومزيف، وينفر من الدراسة، ويلهث وراء الملذات، ومخادع، وحرص باتاي في ذلك علي اقتباس بعض النعوت التي أطلقها بعض الكتاب العرب والمسلمين من أمثال ابن خلدون والمقريزي علي بعض الفئات العربية حتى يبدو موضوعيا، وهو يحاول تلميحا، وتصريحا، تعميم هذه الصفات علي الإنسان العربي "[1].

ومن العجب أنك تجد المستشرقين في إيراد الشبه بعد صناعتها ومحاولة إحكام صياغتها يمثلون أدوارا مختلفة هجومية يحسنها بعضهم، ودفاعية خبيثة يلبس ثوبها البعض الآخر، ودور التحليل، وإن شئت قلت التخييل، ويدعيه آخرون وهكذا...

---

١ – الاستشراق وأثره علي الثقافة العربية أ د / محمد إبراهيم حسن، ص ٤٦. ط رسالة الخليج العربي سنة ١٤٠٨ هـ. وللأسف تأثر بعض الكتاب والباحثين بذلك النمط وطبقوه على العرب الذين كانوا يتمتعون بصفات أخلاقية تفردوا بها، وعقلية واعية مدركة حافظة، وهمة عالية، وعزة وأنفة...إلخ، وإن وقع من بعضهم ما يتعارض مع أصول الأخلاق ولكن الإسلام خلصهم من كل الرذائل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهم بعد كل هذا قضاة لا يقبلون الاستئناف ضد أحكامهم الجائرة على الإسلام.

" إن بعض المستشرقين – كما يقول الأستاذ محمد أسد – يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول إثبات الجريمة، وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع، فهو مع اقتناعه شخصيا بإجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له– مع شيء من الفتور – اعتبار الأسباب المخففة، وعلي الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش (محاكم التفتيش) تلك الدواوين التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها في العصور الوسطي.

أي أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبدا أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها، ويختار المستشرقون حسب الاستنتاج الذي يقصدون إليه مبدئيا.

وإذا تعذر عليهم الاختيار العرفي للشهود عمدوا إلي اقتطاع أقسام من الحقيقة التي شهد بها الشهود الحاضرون، ثم فصلوها من المتن أو تأولوا الشهادات بروح غير علمية من سوء القصد... وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام وللأمور الإسلامية. تواجهنا في جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا...[1].

وموقف المستشرقين ما زال مصرا علي صناعة الشبه حتى يومنا هذا كما يقول الباحثون المسلمون وغيرهم. فإنكار الرسالة، وتكذيب الرسول " صلي الله عليه وسلم "، وإثارة الشبهات، لتشويه الإسلام بوجه عام، وإنكار ربانية القرآن، واتهام السنة المشرفة بالقدح فيها بأنها مكذوبة... الخ.

---

١ – الإسلام علي مفترق الطرق. ص ٥٢ وما بعدها ط / دار الاعتصام القاهرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه الصورة ما زالت تنتشر في الغرب عامة، والولايات المتحدة خاصة، في الكتب، والمجلات، والدوريات، والإذاعات، والفضائيات، وخلال المؤتمرات، والمناسبات العامة.

وهكذا حتى أنه تجرأ هذا الناهق الأمريكي فكتب وخطب بأن محمدا " صلي الله عليه وسلم " إرهابي ومعلم للإرهاب !! وحاشاه. (١)

ومما يذكر هنا أن بعض الكتاب يحلو له تسمية هذه الشبه " الصورة الخيالية التي أنتجها الأدب الغربي" وهذا وصف فيه ما فيه من التدليس لغرض تخفيف الوطء علي المثقفين المسلمين، وقد يقبل البعض هذا الوصف بلا غضاضة ! ولكني أذكره هنا للتنبيه ولبيان معناه. فهو في كتابات المستشرقين يعني الشبه التي صنعها ولفقها دهاة الاحتلال واللاهوت من دهاقنة المستشرقين.

---

١ - وهو القس الأمريكي جيري فالويل في حديثه الذي استغرق ساعة كاملة في الفضائية الأمريكية إس بي إس قال بالحرف: أنا أعتقد أن محمدا كان إرهابيا، لقد قرأت كتابات لمسلمين ولغير مسلمين لكي أقرر أنه كان رجلا عنيفا رجل حرب.

وقال في مقارنة بين الإسلام واليهودية والنصرانية: في اعتقادي أن المسيح وضع مثالا للحب كما فعل موسى وأنا أعتقد أن محمدا وضع مثالا عكسيا . كان هذا في عام ٢٠٠٢م.

يذكر أن القس المذكور هو مؤسس منظمة الأغلبية الأخلاقية، ويعد من كبار الشخصيات المقربة من الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن . وهذه أفكار سائدة في أمريكا المتصهينة اليوم ، فها هو القس الأمريكي الآخر بات روبر تسون. والذي يقود جناحا قويا في الحزب الجمهوري – حزب الرئيس جورج بوش – اسمه التحالف النصراني. يصف النبي صلى الله عليه وسلم بـ ((المتعصب)) ويقول أشقى القوم هذا عنه صلى الله عليه وسلم ((إنه كان لصا وقاطع طريق)).

كما وصف القس الأمريكي الآخر فرانكلين جراهام الإسلام بأنه ((دين شرير)) إلى آخر هذه الأوصاف المرذولة التي تعبر عن حقد دفين يطفح الآن بكثرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول المستشرق غيو يتسولو:- إن النصوص الوافرة المكتوبة عن محمد صلي الله عليه وسلم " وعن المسلمين في أسبانيا والمخترقة بعناصر تتوارث جيلا بعد جيل إنما تعود إلي تاريخ الخيال الغربي عن الإسلام، أكثر مما تعود إلي تاريخ الفكر الغربي، من الفونصو العاشر المعروف بالحكيم إلي أيامنا هذه تراكم تراث أدبي واسع هو وليد الحاجة التي تحسسها الأسبان إلي امتلاك شجاعة داخلية، وهذه الإرادة التي أملتها بالطبع عوامل دعائية وتبشيرية – تنصيرية – في احتقار وتشويه خصم جواني غير قابل للتذويب [1].

وهذا في حد ذاته اعتراف من أحد أبناء جلدتهم، بنقيصتهم تلك. وهو اعتراف يؤكد استمرارية إثارة المستشرقين للشبه حول الإسلام وكتابه ونبيه " صلي الله عليه وسلم ".

وأسوق هذا الاعتراف وما سبقه لمن يردد مقولة إنصاف واعتدال – أي – منهجية الدراسات الاستشراقية خاصة في العصور الحديثة والمعاصرة. وأن الاستشراق قد تغير في موقفه من الإسلام عن العصور الوسطي.

وهذا اعتراف آخر لمستشرق يهودي – وهو غير موضوعي أيضا رغم أنه يصنف فيهم – انطقه الله عز وجل به. يقول برنارد لويس – كما نقل عنه د / محمود زقزوق : لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية " [2].

---

١ – في الاستشراق الأسباني – المستشرق خوان غويتسولو. ص ٣٣ نقلا عن أزمة الاستشراق ص ٣٠٧، ٣٠٨.

٢ – انظر الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ص ٧٣. ط مجلة الأمة القطرية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثامنا: التحريف المتعمد للنصوص.

من الأصول الأخلاقية المتفق عليها بين جميع الرسالات، وجميع الأمم فضيلة الصدق، وأن الكذب رذيلة. ولهذا كان من العار ادعاء قول على واحد من الناس لم يقله، أو ازدياد، أو انتقاص من قوله مما يفسد الكلام. وهذا الذي أقوله محسوب من الأخطاء الفاحشة في علاقات الناس جميعا، ولكن ما ظنك إذا كان من قوم ينتسبون إلى البحث العلمي! بل ويتغنون بأنهم أربابه وسادته وسدنته، وأنهم – على خلاف الباحثين المسلمين– أهل دقة وتجرد، وتمحيص وتدقيق في أبحاثهم ! هؤلاء هم المستشرقون.

وليس مقبولا أن تساق الأحكام بغير أدلتها. فليس هذا من منهج الباحث المسلم.

إن تحريف النصوص يتعمده المستشرقون ليخدم أهدافهم، ومع يقينهم بالتحريف تراهم يصدرون الأحكام، ويبنون عليه و يستنتجون منه كما لو كان صحيحا مقطوعا بصحته. وأسوق من كتاباتهم ما يدل على ذلك.

نماذج لتحريف المستشرقين للنصوص.

جل المستشرقين ورثوا عن أكابر مجرميهم الطعن في السنة النبوية المشرفة، ولم يعثروا على شيء يقنع القارئ باتهاماتهم حول السنة المشرفة، فبدلا من أن يصححوا الوضع أخذوا بوسائل شيطانية لا أخلاقية. لتأكيد طعونهم. من هذه الوسائل تحريف النص لإيهام القارئ بصحة ما يدعيه.

فها هو المستشرق (جولد زيهر) يقول عن الإمام الزهري: قد كانت تقواه تجعله يشك أحيانا، ولكنه لا يستطيع دائما أن يتحاشى تأثير الدوائر الحكومية !!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هكذا يقول ثم يذكر هذا النص فيقول: وقد حدثنا معمر عن الزهري بكلمة مهمة. وهي قوله: أكرهنا هؤلاء الأمراء على أن نكتب أحاديث. فهذا الخبر يفهم استعداد الزهري أن يكسو رغبات الحكومة شرعية، باسمه المعترف به عند الأمة الإسلامية"!

هكذا ذكر جولد زيهر بأسلوبه الذي يروغ فيه روغان الثعالب.

وهاهو النص كما ذكره الإمام معمر بن راشد الأزدي في كتابه الجامع برواية الإمام عبد الرزاق: عن معمر عن الزهري قال: كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا ألا نمنعه أحدا من المسلمين [1].

والقصة كما رويت تفضح جولد زيهر، فإن هشام بن عبد الملك أراد أن يختبر حفظ أحد أبنائه ودرجته في الحديث فكانت القصة كما ذكرها في تذكرة الحفاظ: قال هشام بن عمار أنا الوليد بن مسلم عن سعيد أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يملي على بعض ولده شيئا فأملي عليه أربعمائة حديث. وخرج الزهري فقال: أين أنتم يا أصحاب الحديث؟ فحدثهم بتلك الأربعمائة. ثم لقي هشاما بعد شهر أو نحوه فقال للزهري: إن ذلك الكتاب ضاع فدعا بكتاب فأملاها عليه ثم قابل بالكتاب الأول

---

(١) الجامع لمعمر بن راشد الأزدي برواية عبد الرزاق، والكتاب منشور كملحق بكتاب المصنف لعبد الرزاق، باب كتابة العلم ١١ /٢٥٧، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ط/ الثانية، ستة ١٤٠٣ هـ. تحقيق / حبيب الأعظمي. وبهذا اللفظ ذكره البيهقي في مقدمة السنن، طبع مستقلا بعنوان المدخل إلى السنن الكبرى، ص ٤٠٩، ط / دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت سنة ١٤٠٤هـ تحقيق / محمد ضياء الأعظمي. وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢ / ٣٨٩. وذكره أيضا في القسم المتمم للطبقات ص١٦٩، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ط/ الثانية سنة ١٤٠٨ هـ تحقيق / زياد محمد منصور.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فما غادر حرفا واحدا [1]. فأين هذا مما ذكره جولد زيهر موهما أن الزهـري كـان يضع الأحاديث لخلفاء الدولة الأموية، إنه يقلب الفضيلة إلى رذيلة، ليطعن بذلك في السنة النبوية كلها. سبحانك ربي هذا بهتان عظيم !!.

أنموذج آخر

ومن تحريفات ذلك الرجل أيضا ما ذكره عن زياد بـن عبـد الله البكـالي، موهما القارئ أنه نقل ذلك عن وكيع [2] فيقول: ويقول وكيع عن زياد بن عبـد الله البكالي: إنه مع شرفه في الحديث كان كذوبا.."

يريد جولد سيهر أن يقول إن زيادا مع شرفه كان كثيـر الكـذب !! وهـذا لعمري من أعجب العجب. فإن زيادا من رجال الصحيحين كما هو معلوم. وقال عنه الإمام أحمد: حديثه حديث الصدق، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبى عـن زياد بن عبد الله البكائي؟ فقال: ليس به بأس، حديثه حديث أهل الـصدق [3]. وأمـا قول وكيع عن زياد فهذا نصه كما ذكره البخاري في التاريخ الكبيـر بنـصه: هـو أشرف من أن يكذب ". هذا كلام وكيع في زياد البكائي. يحرفه جولد زيهر إلى أنـه مع شرفه كان كذوبا، ومعلوم أن فعول صيغة مبالغة تعني كثرة ممارسة الكذب.

---

١ - تذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر القيسراني، ١ /١١٠طبعة / دار الصميعي الريـاض ط / الأولى سنة ١٤١٥هـ تحقيق / حمدي عبد المجيد. وانظر أيضا تهذيب التهذيب لابن حجر ٩ /٣٩٧ ط / دار الفكر بيروت ط / الأولى سنة١٤٠٤ هـ.

٢ - هو وكيع بن الجراح ، ثقة، قيل عنه: أحفظ أهل زمانه. انظر سير أعلام النبلاء ٨ /٣٩١.

٣- انظر الجرح والتعديل لأبي حاتم الرازي ٣ / ٥٣٧، نشر/ دار إحياء التراث، بيـروت. ط / الأولى سنة ١٩٥٢م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنموذج آخر لمستشرق يمتهن التحريف

أسوق هنا أنموذجا آخر نال شهرة عند العرب وغيرهم،وهو المستشرق (وول ديورانت) يقول عن الزبير بن العوام – ﷺ – كنموذج لثراء المسلمين من الفتوحات.

يقول ":... وكان للزبير بيوت عدة في مدن مختلفة وكان يمتلك ألف جواد وعشرة آلاف عبد..." هكذا يسوق ديورانت الخبر في غاية البراءة، وإذا كان هذا حال واحد من المسلمين فما كم العبيد عند بقية المسلمين؟ هكذا يريد أن يصور حياة المسلمين ليبرزها في غاية التشويه!.

أما عن النص كما ذكر في كتب التراجم فإني أنقله لك من مصادره.

ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب ما نصه " وروى الأوزاعي عن نهيك بن يريم عن مغيث بن سمي عن كعب قال:كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فما كان يدخل بيته منها درهما واحدا يعني أنه يتصدق بذلك كله "[1]. وأنت ترى النص عند ديورانت قد حذف منه تصدق الزبير – ﷺ –، وترى فيه زيادة تسعة آلاف من عند ديورانت، فالنص الصحيح ألف جعله عشرة آلاف !! كما ترى فيه افتراء ألف جواد من عنده قد أدخلها في الخبر من وهمه !! ولا أدري من أين جاء ديورانت – البحاثة الشهير– بهذه الأكاذيب؟!.

---

١ – الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، ٢ / ٥١٤ نشر / دار الجيل بيروت ط/ الأولى سنة ١٤١٢هـ تحقيق / علي محمد البجاوي. وانظر صفة الصفوة لابن الجوزي ١ / ٣٤٦. ط/ دار المعرفة بيروت. ط / الثانية سنة ١٣٩٩هـ تحقيق / محمود فاخوري وزميله. وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٣ / ٢٧٤ نشر دار الفكر بيروت ط/ الأولى سنة ١٤٠٤هـ. وانظر غير هذه المراجع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تقويم نسبي للموضوعية في الدراسات الاستشراقية:

ولعل السؤال الذي أريد أن أطرحه بعد هذه الرحلة التي سقت فيها ما يبرهن علي عدم موضوعية الدراسات الاستشراقية، والاعترافات الغربية المؤيدة لذلك.

هذا السؤال هو: هل يمكن أن نصف بعض دراسات المستشرقين بالمنهجية والإنصاف – أي: بالموضوعية؟ أم أن جميع كتاباتهم غير موضوعية؟

لا شك أن الإنصاف يدعونا بل يلزمنا إلي أن نقول: بأن هناك بعض كتابات في موضوعات ما تشعر فيها بالإنصاف والموضوعية. لكن أغلب هذه الكتابات يسبقها أو يلحقها ما يعكر صفو هذه النتيجة.

والحق أنك إذا رجعت إلي هذه الأسماء الاستشراقية الموصوفة بالموضوعية، أو التي توصف كتاباتهم بأنها " محاولات جادة نحو فهم الإسلام " لم تجد كتاباتهم تخلو من غمز ولمز وتعمد الانتقاص من قدر الإسلام كدين إلهي، وشخص محمد رسول الله " صلي الله عليه وسلم ".

وقد سبق أن ذكرت لك من هؤلاء وول ديورانت وغمزه لسيدنا رسول الله " صلي الله عليه وسلم " واعتماده علي الضعيف بل الموضوع.

هذا حال ما أطلق عليهم بالمنصفين. فما بالك بغيرهم؟

وغالبا ما يدخل في زمرة هؤلاء المدعي لهم الإنصاف أمثال: فنسنك الهولندي المتوفى سنة ١٩٣٩م. الذي تعود إليه فكرة المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف. ولا شك أنه يعد عملا ضخما يستوجب شكر من قام بذلك. بصرف النظر – ولو لأجل غير بعيد – عن الهدف الاستشراقي من إخراجه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد صح في الحديث أن النبي " صلى الله عليه وسلم " قال: ((وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)). [1]

وغيرهم مثل هادريانريلاند المتوفي سنة١٧١٨ م.

وسلفستر دي ساسي الفرنسي المتوفى سنة١٨٣٨م، والمستشرق برنارد لويس بريطاني الأصل، يهودي المعتقد، صهيوني الفكر، أمريكي الجنسية، ومازال يعمل أستاذا بجامعة برنستون الأمريكية ويتظاهر بالموضوعية.

ومنهم أيضا المستشرق لويس ما سنيون وجل جهوده في نشر كتابات الحلاج.[2] إلي آخر هؤلاء.

وعلينا أن لا ننسي أن المستشرقين يسعون لتحقيق أهداف متفق عليها بين الباحثين المسلمين والغربيين وغيرهما. ولذلك ترى الواحد منهم بوجهين. وجه لتحقيق هدفه. وهو الغالب، ووجه آخر لما يكتب لكسب مادي من دول إسلامية، أو لشهرة في الوطن الثقافي الإسلامي. ولم تكن لخدمة العلم وأهدافه، إلا فيما ندر جدا.

والذين يظنون أن المستشرقين لهم أثرهم في نشر التراث العربي والإسلامي إنها ليست إلا أهدافا استشراقية. ولم يقصد منها خدمة الإسلام.

---

١ - متفق عليه من حديث أبي هريرة. وسبق تخريجه

٢ - هو الحسين بن المنصور الحلاج ولد سنة ٨٥٨ - توفى سنة ٩٢٢ - متصوف ومتكلم، مات مقتولا متهما بالزندقة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهم نتائج البحث

- تطور مصطلح الاستشراق، فبدلا أن كان مختصا بدراسة لغات الشرق أو إحداها، توسع ليشمل كل الدراسات المتعلقة بالشرق والإسلام.
- للاستشراق آثار كبيرة وخطيرة، أهمها آثاره الإيجابية على العقلية الغربية، وفي التمدن الغربي، وما مس العالم الإسلامي من بعض إيجابياته لا تقابل بآثاره السلبية على العالم الإسلامي.
- ساهم الاستشراق بقدر كبير في تشكيل الذهنية الغربية، خاصة فيما يتعلق بالإسلام والعرب والمسلمين.
- لجل المستشرقين علاقات وثيقة بالتنصير، والاحتلال الغربي، والأهداف التوسعية للبلاد الغرب أمريكية في بلاد الشرق الإسلامي.
- الدراسات الاستشراقية قليلة الجدوى، واهية الموضوعية، واهنة الفائدة، غزيرة الشبه والتدليس على حقائق الإسلام.
- نأمل أن تتحرر الدراسات الاستشراقية من قيود التسخير للمحتل، ومن أسر اللاهوتية، وعقدة التفوقية، فقد أفسد ذلك الكثير من نتاج المستشرقين.
- ترجع كثرة الأخطاء في كتابات المستشرقين إلى نفسية المستشرقين، ونقص الإدراك للغة العربية، وضعف التذوق لأساليبها، والخلط بين المصادر الأصيلة، والمراجع المعتبرة، وبين الكتب غير المعتبرة والتي عليها مآخذ، وعدم التمييز بين مصادر الفرق الإسلامية، وهذه آفة كبيرة وغائلة لبحوثهم.
- كثيرا ما يأخذ المستشرق بالضعيف بل وبالموضوع، ويغفل الصحيح المأخوذ به، أو يغفل عنه، أو لا يميز بين هذا وذاك، وتلك من مدلهمات البحوث.
- نستنتج مما سبق أن للمستشرقين أثر غير يسير في القرار السياسي الغربي المتعلق بالشرق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثبت بأهم المصادر و المراجع.

١- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام. د / سعد الدين السيد صالح.طبعة مكتبة الصحابة، الشارقة ط السابعة سنة ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م.

٢- أدلة اليقين. الشيخ عبد الرحمن الجزيري. مطبعة الإرشاد القاهرة ط الأولي سنة١٣٥٣هـ سنة ١٩٣٤م.

٣- أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر. د/ محمد خليفة حسن. ط جامعة الإمام ط الأولى.

٤- الاستشراق. د / مازن مطبقاني. طبعة دار الفرقان الأردن.

٥-الاستشراق. د / إدوارد سعيد. ترجمة كمال أبو ديب / بيروت. ١٩٨١م.

٦- الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام. د/ مازن مطبقاني. ط دار أشبيلية. الرياض. ط الأولى سنة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٧- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية" د/ قاسم السامرائي . ط دار الرفاعي الرياض ط الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.

٨- الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري د/ محمود حمدي زقزوق. طبعة مجلة الأمة القطرية كتاب رقم (٥).

٩- الاستشراق و المستشرقون: وجهة نظر " أ / عدنان محمد وزان. سلسلة دعوة الحق رقم ٢٤ ط رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م.

١٠ - الاستشراق وأثره علي الثقافة العربية أ د / محمد إبراهيم حسن. ط رسالة الخليج العربي سنة ١٤٠٨ هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، نشر / دار الجيل بيروت ط/ الأولى سنة ١٤١٢هـ تحقيق / علي محمد البجاوي.

١٢- الإسلام عام ٢٠٠٠ د/ مراد هوفمان. ط العبيكان الأولى سنة ١٤٢٤هـ.

١٣- الإسلام في الفكر الغربي د / محمود زقزوق. ط دار القلم - الكويت ط ٢ سنة ١٤٠١هـ، سنة ١٩٨١م.

١٤- الإسلام في الفكر الغربي د/ مصطفي السباعي. ط دار القلم الكويت ١٩٨١.

١٥- الإسلام في تصورات الغرب. د / محمود زقزوق. ط مكتبة وهبة - القاهرة ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ و ١٩٨٧ م.

١٦- الإسلام في مفترق الطرق . الأستاذ محمد أسد. ط مكتبة المنار بالكويت، ط دار العلم للملايين. بيروت ط ٨ سنة ١٩٧٤م.

١٧- الإسلام قوة الغد العالمية. باول شميتز. ترجمة. د / محمد شامة. ط ونشر مكتبة وهبة القاهرة سنة١٣٩٤ هـ ١٩٧٤م.

١٨- الإسلام والآخر. د / محمد عمارة . مكتبة الشروق ط الأولي سنة ٢٠٠١م.

١٩- أعمال مؤتمر كلورادو التنصيري سنة ١٩٧٨م، وطبعت بعنوان " خطة التنصير العالم ". ط مترجمة لمكتبة الحرمين بالقاهرة، كما طبعه مركز دراسات العالم الإسلامي. مالطا سنة ١٩٩١م.

٢٠- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، أ / مالك بن نبي. طبعة دار الإرشاد بيروت ١٩٦٩م.

٢١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل. للقاضي البيضاوي ص ٨. ط المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٥ هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٢- أوروبا والإسلام. د/ عبد الحليم محمود. ط دار المعارف مصر. الطبعة الرابعة.

٢٣- التبشير والاستعمار في البلاد العربية د / عمر فروخ، و د / مصطفى الخالدي.طبعة دار العلم للملايين بيروت.

٢٤- تذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر القيسراني.ط / دار الصميعي الرياض ط / الأولى سنة ١٤١٥هـ. تحقيق / حمدي عبد المجيد.

٢٥- تهذيب الأسماء واللغات. الإمام النووي. طبعة دار الفكر، بيروت سنة ١٩٩٦ م. ط الأولي.

٢٦- تهذيب التهذيب. لابن حجر. ط / دار الفكر بيروت ط / الأولى سنة١٤٠٤ هـ.

٢٧- الجامع الصحيح المسند للإمام محمد بن إسماعيل البخاري. طبعة السلفية،و طبعات أخرى.

٢٨- الجامع لمعمر بن راشد الأزدي برواية عبد الرزاق، منشور كملحق بكتاب المصنف لعبد الرزاق، باب كتابة العلم، نشر المكتب الإسلامي، بيروت ط/ الثانية، سنة ١٤٠٣ هـ. تحقيق / حبيب الأعظمي.

٢٩- جذور البلاء. د / عبد الله التل. طبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ط ٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٣٠- الجرح والتعديل. لأبي حاتم الرازي. ط دار إحياء التراث العربي. بيروت ط الأولى سنة ١٩٥٢ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣١- الجرح والتعديل لأبي حاتم الرازي ، نشر/ دار إحياء التراث، بيروت. ط / الأولى سنة ١٩٥٢م.

٣٢- حصوننا مهددة من داخلها. د / محمد محمد حسين. ط مؤسسة الرسالة بيروت ط الأولى. سنة ١٤٠٦ هـ، سنة ١٩٨٦ م.

٣٣- رؤية إسلامية للاستشراق . د / أحمد عبد الحميد غراب. طبعة المندى الإسلامي. الطبعة الثانية.

٣٤- رسالة في الطريقة إلي ثقافتنا. العلامة محمود محمد شاكر. طبعة الهلال – مصر.

٣٥- السنن الكبرى. للبيهقي تحقيق محمد عبد القادر عطا. نشر مكتبة الباز بمكة المكرمة سنة ١٤١٤ هـ.

٣٦- صفة الصفوة لابن الجوزي. ط/ دار المعرفة بيروت. ط / الثانية سنة ١٣٩٩هـ تحقيق / محمود فاخوري وزميله.

٣٧- صور استشراقية. د / عبد الجليل شلبي. ط دار الشروق ط ٢. سنة ١٩٨٩ م.

٣٨- الطبقات الكبرى. لابن سعد ط/ دار صادر بيروت.

٣٩- الظاهرة القرآنية. أ / مالك بن نبي. ترجمة د / عبد الصبور شاهين. ط الاتحاد الإسلامي العالمي ١٣٩٨ هـ.

٤٠- الغزو الفكري. د/ علي عبد الحليم. ط جامعة الإمام الطبعة الأولي.

٤١- الفردوس بمأثور الخطاب. للهمذاني.ط العلمية بيروت سنة ١٩٨٦م.

٤٢- فلسفة الاستشراق. د / أحمد اسمايلو فيتش. طبعة دار المعارف مصر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤٣- القسم المتمم للطبقات، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ط/ الثانية سنة ١٤٠٨ هـ. تحقيق / زياد محمد منصور.

٤٤- كتاب الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ط مكتبة وهبة بالقاهرة الطبعة الثانية عشرة سنة ١٩٩١م.

٤٥- الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. موريس بوكاي. ط دار المعارف لبنان ط/ الرابعة سنة ١٩٧٧م.

٤٦- كواشف زيوف. أ / عبد الرحمن حبنكة الميداني. ط / دار القلم. دمشق. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م.

٤٧- لا سكوت بعد اليوم بول فندلي طبعة العبيكان الطبعة الثانية سنة ٢٠٠١م.

٤٨- ما يقال عن الإسلام. الأستاذ عباس العقاد. ط دار المعارف مصر.

٤٩- المجتمع الإنساني في ظل الإسلام للشيخ / محمد أبو زهرة . ط دار الفكر العربي بدون تاريخ.

٥٠- مجمع الزوائد للهيثمي . طبعة الريان القاهرة سنة ١٤,٧ هـ.

٥١- المدخل إلى السنن الكبرى، ط / دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت سنة ١٤٠٤هـ تحقيق / محمد ضياء الأعظمي.

٥٢- المستشرقون الناطقون بالإنجليزية د / عبد اللطيف طيباوي. ملحق بكتاب الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي.

٥٣- المستشرقون والتراث.د / عبد العظيم الديب. بحث في حولية كلية الشريعة بدولة قطر لسنة ١٩٨٥م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥٤- المستشرقون والتنصير د/ علي إبراهيم النملة.طبعة مكتبة التوبة الرياض الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٥٥- المستشرقون والدراسات الإسلامية – محمد عبد الله مليباري. ط ونشر دار الرفاعي. الرياض سنة ١٩٩٠م.

٥٦- المسيحية والتوراة أ / شفيق مقار. طبعة رياض الريس، ط الأولى، لندن، سنة ١٩٩٢م.

٥٧- مواجهة الغزو الثقافي. الأستاذ أنور الجندي. ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة.

٥٨- الموسوعة العربية الميسرة.مجموعة من الباحثين بإشراف د/ محمد شفيق غربال. ط دار الجيل بيروت. سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٥م.

٥٩- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. طبعة الندوة العالمية للشباب الإسلامي. إشراف د/ مانع الجهني. ط الثالثة سنة ١٤١٨هـ.

٦٠- ميزان الاعتدال للذهبي. ط / العلمية / بيروت، ط/ الأولى سنة ١٩٩٥م، تحقيق الشيخ / علي معوض، و زميله.

٦١- نحن والمستشرقون أ / حسين الهراوي. ط / المنار. القاهرة.

٦٢- وجهة العالم الإسلامي. مالك بن نبي. ط دار الفكر الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٠م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner